بسم الله الرحمن الرحيم

تطور الجامعة في منظور تاريخي مقارن

للدكتور عبد العزيز الجلال

مقـدمة

ان الدراسات التاريخية المقارنـــة لاي موضوع تعتبر من أنجح الوسائل التي توصل اليها الانسان للحصول على المعرفة والاستعداد للحكم والسلوك الذى تزوده به تلك المعرفة ·· ومؤتمر رسالة الجامعـــة الذى رتبته جامعة الرياض الموقرة يمـــثل خطوة جيدة فى سبيل التقاء المفكرين وتبادل نتائجها حتى تتوسع بذلك حدود المعرفـــة ويعم انتشارها ··

وقد قررت المساهمة بجزء متواضع فى هذا المؤتمر يمثل الدراسة التى بين ايديكم وقد اخترت لها عنوان « تطور الجامـــعة فى منظور تاريخي مقارن » ·· ومـــع الاعتراف بأن العنوان كبير جدا على حجم دراسة كهذه ، الا انى قد حاولت تجمـــيع اشتات المعلومات واستخلاص لبها لصياغتها فى منظور مركز لو لم يستفد منه المطـــلع الا مجرد الانتباه لاهمية المواضـــيع التى تطرقت اليها لكان ذلك شرفا كافيا لي ·

وعندما عزمت على الكتابة كانت هــــذه الفكرة تسيطر على ، وهي اننا عندمــــا نستقرىء التاريخ عن الجامعة وتطورهــا لايهمنا اكتشاف الحقائق بحد ذاتــــها بقدر مايهمنا ماتلقيه تلك الاكتشافات من ضوء على ماتعانيه جامعة اليوم من اختـــلاف وجهات النظر حول العديد من الممارســات التى وجدت الجامعة نفسها مضطرة لاخذها او تركها حسب مرحلة تطورها ، او حسب ميزان القوى بين وجهات النظر المختلفة ·· وانطلاقا من هـــذه الفكــرة ركزت على الاتجاهات التى اكتنفت تطور الجامعــات

مركزا على ابراز الاختلاف فى وجهات النظر كيف بدأ وكيف صار اليه فى العصر الحاضر ·· وقد لجأت الى الحقائق والارقام فقــط بالقدر الذى يساعد على توضيح ماأقصــد اليه ·

هذا وقد قررت بالضرورة ان احصر نفسي فى خمسة جوانب من المواضيع ·· وهذه الجوانب هي :

الاصل التاريخى للجامعة وفيـــــه محاولة استكشاف لفكرة الجامعة كيــف بدأت ثم تطورت الى ماهي عليه فى العصر الحاضر ، الجانب الثاني وظائف الجامعــة والادوار التى تقوم بها ، ســـــــاهي فى الجامعات القديمة وماهي الان ·· الجانب الثالث ـ وهو جزء من الثاني ولكنى افردته بفصل خاص نظرا لاهميته المعاصرة ـ وهو الجامعة والاعداد المهني ··

وقد حاولت فيه ان اكشف مـــوقف الجامعة تاريخيا بالنسبة للتحضير للمهن المختلفة وماهي حال الجامعات فى هـــــذه الناحية الآن ·· الجانب الرابع هو التوازن بين التربية التخصصية فى الجامعة والتربية العامة ، وقد تطرق البحث فيه الى الاصــل التاريخى للتخصصات ثم الخطر الذى يهدد اهداف الجامعة وكيف تحاول جامعات اليوم توفير جزء من التربية العامة فى مناهجها لمكافحة خطر التخصصات · ·واخيـــــرا الجانب الخامس وهو طلاب الجامعة وحدود التوسع فى قبولهم ، وماهي مواقف المربين المختلفة حول هذه النقطة فى الوقت الحاضر ·· هذا ولابد من الاشارة الى انني لم اتردد فى اخذ موقف خاص مؤيد او معارض لكل نقطة تستدعى ذلك كما سيكتشف المطـــلع على هذه الدراسة ··



الاصل التاريخى للجامعة :

لو نظرنا الى كلمة « الجامعة » فى اللغة العربية لوجدناها اسم فاعل من جمع ولو نظرنا الى الجامعة كمؤسسة تربوية معاصرة لوجدناها تحمل من لفظ اسمها معنى كبيرا فهي تجمع اشخاصا من مختلف المشارب وتجمع اعمالا ووظائف شتى ·· ولكن هل المبنى هو الذى يجمع اولئك الاشخاص لاغراضهم المختلفة ؟ ·· او هل هي الفكرة والهدف من الاجتماع هما اللذان يجمعانهم ؟ على التصور الثاني وهو تصور الكاتب نستطيع ان نقول ان الجامعة ليست وليدة هذا العصر بقرونه القريبة الماضية جدا ، بل انها تضرب بجذورها فى اعماق التاريخ الى ماقبل الميلاد بعدة قرون ·· فكلمة (جامعة) بحد ذاتها لاتعنى اصلا مرحلة من التعليم خاصة بالكبار الذين اكملوا مستوى معينا من التعليم ، انها تعنى مكان الاجتماع ، وتعنى اداء الشىء جماعيا كما فى قولنا « الصلاة جامعة » ·· بهذين المعنيين الاخيرين نستطيع أن نقول ان أي حلقة تعلم وتعليم تجمع الاساتذة ومريديهم فى جماعة موحدة تشكل الاساس لما يسمى الآن بالجامعة ·

ولعلنا نجد مزيدا من التوضيح عندما نرجع الى كلمة الجامعة باللغة الانجليزية واللغات القريبة منها اللاتى اخذن اسمها من اللغة اللاتينية ·· تدل كلمة "Universty" فى اللغة الانجليزية على الجامعة بمفهومها الحديث كما انها تدل فيما تدل على معنى « المجموعة » و « الجمعية » و « المجتمع » و « النقابة » ·· كل هذه المعانى تعطينا معانى الاجتماع لغرض معين ·· وقد اخذت المؤسسة التعليمية العالية الحديثة اسمها « جامعة » انطلاقا من الممارسات القديمة جدا والتى ترجع الى ماقبل الميلاد واستمرت حتى وقت انتشار النوع الحديث من التعليم الجامعي من اجتماع طالبي العلم وأساتذتهم فى جمعية واحدة لغرض طلب العلم ونشره وتوسيع حدوده فى استقلالية تامة ومبادرة خاصة ·

واقدم مثال على تلك الجمعيات التى نبعت منها فكرة الجامعة هي المؤسسات الهندية المعروفة « بمدارس الغابة » التى يرجع تاريخها الى عام ١٥٠٠ ق · م ·· فقد كان الاساتذة يلجأون الى الغابة حيث يلتحق بهم راغبوهم من الطلبة فى تلك الخلوة للتأمل والمناقشة الفلسفية ، وكان الهدوء والسلام والتفرغ تعتبر عوامل أساسية لفهم حقائق الفلسفة والديانات(١) هذه المدارس لاتشكل اقدم منبع تاريخى للجامعة فحسب بل ان فكرة الهدوء والانقطاع التام عن العالم الخارجى والتفرغ للتأمل والبحث عن الحقيقة التى اتصفت بها تلك المدارس قد لازمت فكرة الجامعة وممارساتها حتى وقتنا الحاضر حيث لانزال نسمع بعض النداءات التى تدعو الجامعة الى ان تقصر وظيفتها على التأمل والدراسة فى العلوم البحتة والانسانيات والا تتحول الى مركز تدريب وخدمة للمجتمع المعاصر لان الوظيفة الاخيرة لاتليق بمستوى الجامعة

(1) Basil Fletcher, Universities in the Mod ern World, - Oxford : Pergamon Prese, 1968.) P. LL

ومن الهند ننتقل الى الصين حيث نجدان الممارسات الصـــــينية القديمة فى الامتحانات لاختيار موظفى الدولة قبل ثلاثةالاف سنة ادت الى تأسيس بعض مراكـــز تعليمية للكبار لتحضيرهم لتلك المناصب (١)تلك المراكز لتلعيم الكبار اعطت الجامعــــة منبعا تاريخيا آخر لوظيفتها الحالية فى تعليم الكبار ٠٠ كما ان الامتحانات فى تلك المراكز تعتبر اول ممارسة تـــــاريخية فى منح الدرجات والاجازات التى تعتبر من الاصول فى ممارسات جامعات اليوم ٠٠ ومن هــــذه الممارسات الصينية من حيث هي اعـــداد للمهن يمكن ان يرجع دور الجـــامعة فى الاعداد المهني وان كان الاعداد فى ذلــك الوقت مقتصرا على تعليم الادب والشـعر الذين لايعتبران مهنا بحد ذاتيهما بل جزءا من الثقافة المطلوب توافرها فى من يشغل مناصب الدولة الصينية القديمة ٠٠

ولايكاد باحث فى تاريخ التـــربية انينسى التراث اليوناني الذى لايزال يســـم معظم مؤسساتنا التربوية على كل المستوياتوفى جميع انحاء العالم ٠٠ وفى مجـــال اصل الجامعة نجد ان « اكاديمية افلاطون »فى اثينا فى القرن الخامس قبل الميـــلاد تقارب مفهوم الجامعة الحديث من حــيثتركز الدراسة حول مواد دراسية معينـــة وكانت الدراسة فيها مقتصرة على الآداب٠٠ اما دراسة العلوم والرياضيات فقـــد وجدت بفضل ارسطو تلميد افلاطـــون فىمؤسسته التربوية المسماه « ليسيوم » ٠٠ وقد انتقل فلك النظام التربوى الاغريقى الى افريقيا بواسطة « متحف الاسكندرية » الذى اســـتمر من ٣٢٣ ق ٠ م ٠ حتى الفتح الروماني عام ٣٠ ق٠م ٠ لقد كان ذلـــك المتحف يشبه الجامعة المعاصرة حقا وخاصةبمكتبته الضخمة التى حوت سبعمائة الـــف كتاب وببحوثه الكثيرة والجيدة ٠٠ وكانمن اشهر تلاميذ المتحـــــــف اقليدس فى الرياضيات وارخميدس فى العلوم ٠ (٢) ٠

هذه ثلاثة امثلة على الاصل التاريخىللجامعة يجب فهمها على انها منابع فقـــط لفكرة وممارسات جامعات العصر الحديثفهي تشارك الجامعات المعاصرة واسلافها المباشرة فى ان الجميع يقصر نفســـه علىتعليم الكبار الراغبين وانها تقصر جهودها على المستويات العليا فى التعليم ، وانهـــاتسعى وساهمت فى توسيع حدود المعرفـــة وانها تعتمد على الاعتماد على النفس فىالتعلم والعلاقـة المباشـرة بين الاســـتاذ والطالب وعلى استعمال المكـــتبة ٠٠ وهيتخالف الجامعات المعاصـــــرة حيث انها لاتشترط شهادات معينة لدخـــولها ، وليسهناك مدة معينة للبقاء فيها كما أن شهاداتها ليست اوراقا روتينية مكتوبة بل التدليـــــلمن قبل الطالب على الفهم والتحصيـــــل والاعتراف بذلك من اساتذته وزمــلائه ٠٠وجدير بنا قبل أن ننتقل من هذه النقطة أن نلاحظ مدى ابتعاد جامعات اليوم عن بعـض الممارسات الجيدة فى العلاقة بين الاستاذ والطالب ومدى سيطرة الروتين والشكليات التي قلبت التعليم الجامعي خاصة فىبعض

---

(١) ماقبله ، ص ١٢ ٠
(٢) ماقبله ، ص ١٢ ٠

البلدان النامية الى مجرد مؤسسات لمنح الدرجات بعيدا عن روح التعليم والتحصيل الحقيقين ٠٠ لاشك ان كثرة الاعداد وتعددوظائف الجامعة فى العصر الحديث يحملها على ممارسة بعض القيود ولكن الخطر يكمن فى ان تلك القيود يساء فهمها وبدلا من اعتبارها وسائل للضبط فقط نراها تصبح اهدافا بحد ذاتها وشعائر محرمة لايجوز مساسها ، ولعل النظرة التاريخية فى أصل الجامعة تساعد المسؤولين فى الجامعات والطلبة على أن يتخلصوا من هذا الخطر ٠

وحسب التسلسل التاريخى لاصل الجامعة يجدر بنا ان ننظر الى ما خلفه اسلافنا العرب والمسلمون فى هذا المجال ٠٠ لقد كانت المساجد والقصور والاسواق العامة مهدا لبذرة الجامعة الحديثة منذصدر الاسلام حتى اضمحلال الدولة العباسية على يد التتار ٠٠ وقد عنى الخلفاء الامويون والعباسيون بصفة اشهر بتأسيس دور الكتب وجمع التراث العالمي من مظانه وفتح تلك الدور للباحثين والعلماء ليتعلموا ويعلموا ٠٠ ويعتبر الخليفة الاموى خالدبن يزيد بن معاوية الذى مكث فى الخلافة ثلاثة اشهر فقط اول من أسس خزانة كتب جمع فيها ما ترجم من كتب النجوم والطب والكيمياء والهندسة والفلسفة والرياضيات ٠وكان بين محتوياتها كرة نحاس من عمل بطليموس ٠ (١)

وقد تبعه فى ذلك بعض خلفاء بنى امية خاصة الوليد بن عبدالملك ٠٠ وفى العصر العباسى نرى اهتماما شديدا بالعلم وكتبه على يد ابن جعفر المنصور ٠٠ ويستمر هذا الاهتمام ويبلغ اوجه فى عهد الخليفة المأمون الذى اسس أكبر دار كتب فى ذلك العصر وكان يجمع لها المترجمين والكتب من بلاد الروم وفارس والهند والصين وهو الذى امر بتشييد دار الحكمة ووضع الكتب وتراجمها فيها وحض على قراءتها ونشرها بين الناس ٠٠ وعن شبه هذه الداربالجامعات الحديثة يقول الدكتور محمد اسعد طلس : « ولاشك عندنا فى ان هذه الدار كانت مركزا ثقافيا جليلا فى بغداد وان العلماء كانوا يقصدونها من شتى انحاء العالم الاسلامي ، ولكننا لانستطيع ان نقول انها كانت مركزا تعليميا او مدرسة او ماشبه ذلك ، بل انها كانت فى الغالب مركزا مفتوحا للناس اجمعين يقصدونها ويطالعون مافيها من الآثار ، وان هؤلاء العلماء والفلاسفة المقيمين فيها والذين يتولون امورها كانوا يعينون من يقصد اليها اذا ما أشكل عليه فهم نص من نصوص كتبها ٠ (٢)

ومع موافقتي للدكتور طلس فى ان هذه الدار ليست مدرسة الا انها كانت مركزا تعليميا تعلم بواسطة كتبها والمشرفين عليها كما ذكر هو وبواسطة جهود طلبتها ، وقد

---

(١) الدكتور محمد اسعد طلس ، التربية والتعليم فى الاسلام ، (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٥٧) ص ٩٤ ــ ٩٥ ٠

(٢) ما قبله ص ٩٧ ٠

تخرج منها العديد من العلماء كما يـــذكر الدكتور طلس نفسه من امثال اولاد موسى بن شاكر وهم محمد ، واحمد ، والحسن ،وقد برعوا جميعـا بدرجـات مختلفة في الهندسة والفلك والرياضيات والمنطق والحيل أى الميكانيكا ٠٠ وعلى هذا الاساس يجـب ان نعتبر هذه الدار من الاسس الحـــية الواضحة لجامعات اليوم لانها وفرت على الاقل جو العلم ومستلزماته فضلا عن أن المعلومات عن عدم وجود أساتذة يعلمون فيها مباشرة ليست مقطوعا بها ٠

وبجانب دار الحكمة هذه كانت هنـاك مجالس العلماء فى المجالس والدور حيـث يلتقى الطلبة باساتذتهم على طريقة التعـلم الفردى الذى يسير حسب رغبة الطـــالب ومعارفه السابقة وقدراته مع التأكيد على التحصيل والامتياز فى طلب العلم ٠٠ وكانت هناك جمعيات للعلماء ومريديهم لها قواعدها ونظمها فى التعليم والاجازة ومن اشهـــر تلك الجمعيات جماعة اخوان الصـــفاء فى العصر العباسى ٠

وفى الجانب الآخر من العالم العربي فى مصر اشـــتهر الفاطميون بتأسيس دار للكتب تنافس دار كتب بغداد وقد سميت بدار الحكمة ودار العلم وكان لها نفس الـــدور الذى كان لدار حكمة بغداد مع اهتـــمام الاولى بنشر المذهب الفاطمي (١) ٠

بجانب تلك المؤسسات والجمعيات التى شكلت بذرة الجامعة فى التاريخ العـــربي والاسلامى نجد ان العرب والمسلمين خطوا خطوة اكثر قربا من جامعات العصر الحديث بناياتها الخاصة بالتعليم واســـــاتذتها المأجورين وشروط الدخول فيها ٠٠ تـــلك الخطوة هي تأسيس المدارس النظامية التى اسسها نظام الملك السلجوقى فى القـــرن الخامس الهجرى وانتشرت فى العـــــالم الاسلامى بعده ٠٠

لقد كانت تلك المدارس أول عمل رسمى للدولة الاسلامية في تنظيم المدارس ووضع قواعد لنظام الدراسة واقرار تقاليد التدريس والتأليف وصرف الرواتب والنفقات وغير ذلك مما كان غير متفق عليه بين العـــلماء والمتعلمين ٠٠ وبقرب تلك المؤسسات مـــن الهياكل الحالية للتعليم الجامعى المعاصـــر يمكن ان ندرك مغزى مـــاروى عن بعض العلماء عند مابلغهم تأسيس المدارس انهم « أقاموا للعلم مأتما : كان يشتغل به ارباب الهمم العالية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم ، واذا صار عليه اجر تدانى اليه الاخساء وأرباب الكسل (٢) ٠

لقد كان لاولئك العلماء العذر اذا خافوا على مستقبل العلم بتأسيس تـلـك المدارس بنظمها وقوانينها التى كانت بداية لتنظيم التعليم فى العصر الحديث ٠٠ ولكن هـــذه النظم كانت ضرورية لمواجهة التوســع فى التعليم وللتشجيع على طلبه وهى بحد ذاتها لايمكن ان تسيء الى روح التعـــليم ولكن اساءة فهمها هى التى تفعل ٠٠ وأما مـــن ناحية تأثير الاجور على مستوى التعـليم فالخوف وارد وخاصة فى العلوم الدينيـة ، ولكن ضرورة التفرغ للعلم وارتفاع تكاليف المعيشة على مر العصور تجعل من اللازم

(١) ما قبله ص ١٠٣ ـ ١٠٤

(٢) ما قبله ص ١٢٦

تخصيص تلك الاجور والا فان العالم لن يعكف على كتابه أو فى معمله بينما معدته تقرصه من الجوع ٠٠ ومما هو كفيل بازالــة تدني مستوى التعليم ان يكون هناك نظــام تشجيعي للمجيدين وأن يكون هنـــــاك اعتراف وحث على الامتياز فى التعليم من قبل افراد المجتمع بصفة عامة ومن القريبين من التعليم خصوصا ٠٠ ولا ننسى ان فتـح الباب امام العدد الكثير من العـــــلماء وتشجيعهم سيقود حتما الى اختلاف وجهات النظر ثم البحث ثم توسع المعرفة والامتياز فى التحصيل ٠

ونعود مرة اخرى الى القسم الغــربي من العالم العربي لنجد انه فى عام ٨٥٩ م أى قبل تأسيس المدارس النظاميه فى بغداد تأسست جامعة القرويين فى فاس فى المغرب وتأسست جامعة الازهـــــر فى ٩٧٢ م فى القاهرة (١) ٠ ٠ واطلاق اسم جامعتين عليهما ربما كان فيه بعض التجوز خاصة فى أول نشأتهما ولكنهما كانتا مركزى تعليم يقصده المتعلمون ليدرسوا على يد الاساتذة وفى حالة الجامع الازهر يقول المقريزى ان الازهر هو أول مكان عرف اقامة درس بأمر من السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس وذلك فى خلافة العزيز بالله نزار بن المعـــز الفاطمي فى اواخر القرن الرابع الهجرى (٢) ٠

ذلك ماكان عليه التطور التاريخى لمـا اسميه بذرة الجامعة حتى نهاية القـــرن العاشر الميلادى ٠٠ لقد كانت المؤسســـات التعليمية العربية هي وريثة اليونان والهنـد وفارس والصين وعلى غرار تلك المؤسســات التعليمية قامت جامعات اوروبا فى القــرنين الحادى عشر والثانى عشر وما بعدهـــما لتواصل مسيرة الجامعة فى العصر الحديث لان الغالبية العظمي من تلك الجامعات التى تأسست منذ ذلك الوقت لاتزال قائمة حتى اليوم مثل جامعة بولونا الايطالية واكسفورد البريطانية ٠٠ وفى تأثر نظام الجامعـــــات الاوروبية الاولى بالتراث العربي يقول باسيل فليتشر من جامعة ليدز البريطانية مامعناه :

اما السابق المباشر للجامعات الغربية فهو نظام الجامعات العربية المنتشــــرة فى العالم العربى ايام الخلفاء العباسيين ٠٠ لقد أخذ العرب بذور الثقافة والعلوم اليونانيـــة واضافوا اليها ومزجوها بعلوم الشــــرق وآدابه ثم اورثوها الى اوروبا ٠٠ وكانت أولى الجامعات الاوروبية التى بنيت عــلى غرار المؤسسات العربية هما جامعتي بولونا وساليرنو بايطاليا فى القرنين الحــــادى عشر والثانى عشر ميلادى ٠٠ لقد كان رجال الغرب يقصدون بغداد والقاهرة ودمشـــق وغيرها من مراكز التعليم فى العالم العربى قادمين من اسبانيا وميلانو لتلقى العــــلم على أيدي أساتذة مختارين (٣) ٠٠

---

1 — Alex A. Kwapong, "Ghana" in Higher Eduction : From Autonomy to Systems, (Ed.) James A. Perkins (voice of America Forum series, 1972) P. 201 .

(٢) اشار الى ذلك الدكتور محمد اسعد طلس فى كتابه سابقة الذكر ص ١٠٣

(٣) الكتاب السابق ص ١٢ــ١٣ Basil Fletcher

وظائف الجامعة

عندما ننظر الى جامعات اليوم نجد انها تقوم بثلاث وظائف هى التدريس والبحث وخدمة المجتمع ٠٠ فبالنسبة للتدريس والبحث يكاد يكون هناك أجماع تام بين المسؤولين فى الجامعات على انهما هما المجال المناسب لعمل الجامعة ٠ اما الوظيفة الثالثة فهى وان كانت منتشرة ومقبولة فى معظم الجامعات اليوم الا انها لاتزال تحظى ببعض التحفظات من قبل بعض المربين ٠٠ ويقصد بخدمة المجتمع تلبية الجامعات لحاجات المجتمع فى مجال اعداد المهنيين لمختلف المهن ، وتعليم الكبار ، والاستشارات والبحوث التطبيقية وغيرها من النشاطات التى تهدف الى تلبية حاجات المجتمع واغناء ثقافته وتقدم بواسطة الجامعة ٠

هذه الوظائف الثلاث لم تكن كلها متفق على احقيتها بأن تكون ضمن مسؤوليات الجامعة ٠٠ وفى هذا الجزء سنقصر البحث على كل من وظيفتى البحث والتدريس فى الجامعات وكيف تطورتا حتى اصبحتا اليوم لانذكر اسم الجامعة الامقرونا بهما ٠٠ اما الوظيفة الثالثة فهى من التشعب بحيث تستحق ان يخصص لها جزء مستقل من هذه الدراسة وهذا ماتم فعلا ٠٠ اما عن نقطة البداية فى البحث التاريخى لتلك الوظائف فسينطلق من الجامعات الاسلامية الاولى ثم الجامعات الاوروبية التى تأسست فى القرون الوسطى ٠٠ وقد تم تحديد هذا المنطلق لسببين ، الاول هو ان الباحث لابد ان يقرر نقطة معينة او فترة معينة حتى يستطيع ان يركز ويحصر جهوده ، والثانى هو أن تلك الجامعات تمثل الجد المباشر لجامعات اليوم فى جميع أنحاء العالم ولذلك فان ممارسات جامعات اليوم واختلاف وجهات النظر حولها تجد لها سوابق فى تلك الجامعات الاوروبية

فعن التدريس كوظيفة من وظائف الجامعة نجد ان ماسميناه بذرات الجامعة فى القديم كان قائما بالدرجة الاولى على التدريس فى مختلف العلوم والفنون لالغرض التحضير لمهنة معينة ولكن لغرض التحصيل الثقافى العام فى الحقل الذى يجرى فيه التعليم ٠٠

وقد جرت المؤسسات التربوية الاسلامية والجامعات على هذا النمط حيث كان طلاب العلم يستزيدون فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية والفلسفة والطب وغيرها ٠٠ وكان التقدم العلمي يحدد بطريقة فردية متدرجة بواسطة الأستاذ الذى يمنح الاجازة بنفسه للطالب ٠

وكانت جامعات القرون الوسطى فى اوروبا قائمة بالدرجة الاولى على هذه الوظيفة واستمرت الجامعات من بعدها على هذا الشكل حتى القرن التاسع عشر حين اصبح البحث العلمي خاصة فى العلوم الطبيعية ينافس دور التدريس فى الجامعة ٠٠ ولاشك ان اهتمام الجامعة بالبحث العلمى قد ازعج بعض المربين فى ذلك العصر ولاتزال بعض انواعه (التطبيقية خاصة) التى تعمل لحساب الصناعة والمؤسسات تزعج البعض فى هذا العصر أيضا ٠٠ وكان خوف أولئك المربين من أن

اهتمام الجامعة بالبحث سيضعف من اهتمامها بالطلاب وتربيتهم ٠٠ ولعل ابرز الاصوات التى ارتفعت ضد تحول الجامعة عن التدريس هو صوت كارودينال ينومان البريطاني فى القرن التاسع عشر فى كتاب « فكرة الجامعة » لقد تصور نيومان جامعته مركزة على وظيفة واحدة وهي حفظ المعرفة والافكار ومناولتها الى نخبة مختارة مكونة من طلاب الدراسات الجامعية الدنيا (Under grad.)
اما البحث فيجب ان يتم خارج الجامعة ، وفى ذلك يقول : « اذا كان هدف الجامعة الاكتشاف العلمى والفلسفى فلا ارى سببا لوجود الطلبة فيها » ٠ (١)

ومن الاصوات البارزة المبدية تخوفها من سيطرة البحث على جهود الاساتذة على حساب التعليم والتربية فى جامعات اليوم لانجد اشهر من روبرت هتشق الرئيس السابق لجامعة شيكاغو الذى يقول ان جامعة اليوم لاتستطيع ان تقدم تربية وتعليما نافعين لطلاب الدراسات الدنيا وذلك نظرا لانشغالها بالاعداد المهنى على مستوى الدراسات العليا وبالبحوث ، ولن يخفف من هذا الخطر تحذير الاساتذة بوجوب الاهتمام بأولئك الطلاب لان الاساتذة انفسهم يعرفون ان ترفيعهم ومكانتهم وشهرتهم تعتمد على ما ينتجون من بحوث منشورة (٢)

لقد كانت معارضة نيومان للبحوث وكذا معارضة هتشن لاتنطلق من تفكير ساذج بقدر ماكانت تنطلق من موقف فلسفى عن دور الجامعة فى التربية ٠٠ ذلك الدور هو غرس اعلى انواع الثقافة العقلية فى الطالب وتفتيح ذهنه للسؤال حتى يستطيع كما قال هتشن ان يفهم نفسه والحياة من حوله ويستطيع أن يعيش مع بني جنسه فى سبيل سعادة الجميع (٣) ٠٠

اما اذا انخرطت الجامعة فى البحوث واصبحت شركة تنتج مايطلب منها حسب المواصفات فلن تكون المكان المنعزل الامين الذى ظن نيومان وهتشن انه لابد من اتصاف الجامعة به حتى تقوم بدور التربية والتعليم كما يفهمانه ٠٠ أما البحوث والاهداف الآنية فيجب فى نظرهما ان تتم خارج الجامعة حتى لاتتأثر وظيفتها كمركز للتأمل والمراقبة والقيادة الفلسفية الحكيمة ٠

هل هناك تعارض مبدئي بين التدريس الجامعى والبحث ؟ ٠٠ من اطلع على اراء المعارضين للبحث فلا بد ان يشعر بذلك التعارض الاساسى ٠٠ الا انه يجب الاسراع الى القول لمزيد من التوضيح ان معارضة البحوث كانت موجهة بصفة خاصة من قبل هتشن وفليكسنر مثلا الى البحوث الطبيقية التى تعمل لحساب المؤسسات الخاصة

---

(1) Abrahah Flexner, Universities, (Londo n : Oxford University Press, 1968) P. XIII, introduction by Klark Kerr.

(2) Robert M. Hutchins, "The University, an intellectual Community" in The world of Education, (New Yourk : The Macmillan Company, 1968.) P. 505. (Ed.) Rena Foy,

(٣) ماقبله

والحكومية ٠ ٠وهم لايعارضون تلك البحوث بحد ذاتها وانما يعارضون فكرة مسؤولية الجامعة عنها ، ويرى فليكسنر ان العالم اذا ربط نفسه بمؤسسة معينة لابحاثها الخاصة فيجب ان لاتكون الجامعة مكانه ٠٠ ويضرب مثلا بباستير العالم الفرنسي الذى ركز على ابحاثه ودراسته فى الكيمياء من الناحية البحتة ولكن هذا لم يمنعه من المشاركة فى البحث عن امراض دودة القز ، وكوليرا الدجاج ، وغيرها من المشاكل التى تحتاج لحلها بحوثا تطبيقية ٠٠

لقد قام باستير بذلك غير تارك الناحية العقلية الفنية فى تلك البحوث ولكنه رابطا اياها بحصيلته العقلية وطريقته فى البحث وهو فوق ذلك بعد حل تلك المشاكل عاد الى معمله ولم يوظف نفسه مستشارا لاحدى الشركات ولم يقصر نفسه على تقديم دروس فى تربية الدجاج أو دودة القز مع معرفته التامة بأولئك ٠٠ وخلاصة رأى فليكسنر ويوافقه فى ذلك هتشن وغيره من النقاد ان البحوث التطبيقية يجب ان تجد مكانا آخر غير الجامعة ، وان ارتبط اساتذة الجامعة بها فيجب الا يكون ذلك بصفة دائمة بل مساهمة منهم عارضة فى حل تلك المشاكل ٠ (١) والخطر الذى رآه اولئك المعارضون فى سيطرة البحوث التطبيقية هو سيطرة اصحاب المصالح الخاصة من مؤسسات صناعية وتجارية وحكومية على الجامعة وتأثير ذلك على موضوعية البحث فيها وعلى مستوى التدريس والتربية بمعناها الاسمى ٠٠ ولاشك ان هذا الخطر الذى تخوفوا منه وارد حقا كما رأينا في الجامعات الالمانية تحت هتلر وكما نرى فى امريكا من قيام بعض الجامعات بصورة رئيسية بخدمة السياسة الامريكية فى البلدان الاخرى ضمن مخطط المخابرات المركزية الامريكية (٢) ٠٠

وقد انتشرت الآراء المعارضة للبحث فى بعض الاوساط بدون فهم للشروط وانواع البحث التي عورضت وأصبح من الملاحظ فى بعض الجامعات ايمان بعض الاساتذة بان مهمتهم الاولى هى التدريس فقط وكأن هناك معارضة اساسية بين التدريس والبحث بجميع انواعه وكيفية تنفيذه

ولقد تنبه لخطر هذه الموجة فى الفصل بين البحث والتدريس في الجامعة الفيلسوف الالماني كارل جاسبرز فى كتابه (فكرة الجامعة) الذى أخذ اسم كتاب كاردينال نيومان ولكنه اختلف عنه من حيث ان كاسبرز اكد ان وظائف الجامعة ثلاث وهي كما سماها التربية ، والبحث ، والاعداد المهني ٠٠ أما نيومان كما سبق أن بينا فقد أكد ان وظيفة الجامعة هي واحدة فقط وهى التدريس او التربية ٠٠

لقد أكد جاسبرز ان « من حق الانسان ان يجد مكانا ليبحث فيه عن الحقيقة بحرية تامة ومن أجل الحقيقة نفسها فقط ٠٠ هذا المكان توفره الجامعة » ٠ ٠واكد ان اهداف الجامعة وان كانت عملية (التدريس والتربية) الا انها تحقق هذه الاهداف بروح

---

(١) الكتاب السابق ص ١٣١ــ١٣٢ ، ٢٣٩ — Flexner

(٢) المقالة السابقة ص ٥٠٥ ٠ — Robert M. Hutchins

تتجاوز هذه الاهداف فى البداية لتعود اليهامرة أخرى بدرجة أكبر من الوضوح والثبات وهو بذلك يعنى طريق البحث العلمي • (١) هذا التأكيد لاهمية البحث فى الجامعة ليس فى صالح تطور البحث العلمي وقوته فقطوانما فى صالح التدريس ايضا •• فالبحث يستثار بواسطة التعليم والاختلاط مع الجماعات المتعلمة كما أن التدريس الذى يجرى بعيدا عن البحث حرى به ان يكون راكدا قابلا للتعفن بمرور الزمن •• والفارق بين التدريس الجامعى وغيره ان الاول يجب ان يتم بمصاحبة البحث العلمي النشط ليعطي للتدريس مادته وحيويته التي ربمافقدها كما فقدتها طرق التعليم والتربية فى القرون الوسطى فى تركها للبحث وعكوفها على الشروحات والتعليقات والمحاورات والاختصارات ثم شروح الاختصارات الخ • وخلاصة القول فى هذا الفصل ان التدريس بدأ كوظيفة اساسية للجامعة ثم تبع ذلك البحث •• وكان انتشار البحوث بأنواعها مثيرات للخوف من قبل بعض المربين حتى سيطر اتجاه لدى بعضهم بوجوب ابتعاد الجامعة عنه •• وقد برز تجاه ذلك اتجاه الجمع بين البحث والتدريس الذى علله احسن تعليل كما رأينا كارل جاسبرز •• والتدريس الذى عناه جاسبرز مع البحث يجب ان يهدف الى « التربية » بمعناها الثقافى الواسع ، والتربية لها ثلاث وسائل فى نظره وهي :

(١) الاستاذ بنقل المعرفة الى الطالب عن طريق التدريس المباشر •

(٢) التلمذة وتكون بتمثل الطالب لخبرات استاذه •

(٣) المشاركة فى التعلم عن طريق تحمل المسؤولية بين الاستاذ والطالب •• وخطر الوسيلة الاولى يتمثل فى انقلاب التربية الى عملية ميكانيكية مقيدة بالقيود الاجتماعية والمواد التى يتعلمها الطالب بدون ادراك لوحدتها والهدف منها •

ولذلك فهى وسيلة تربوية غير جديرة بالجامعة •• وكذلك الحال مع الوسيلة الثانية (التلمذة) التى يتمثل خطرها فى اخضاع رغبة الطالب لرغبة الاستاذ اخضاعا يعطل انتاجية الطالب وقدرته على التطور •• أما الثالثة فهى مايجب ان يكون عليه التعليم الجامعى لانه من خلال المشاركة يعرف الطالب والاستاذ انه ليس هناك حقائق مطلقة وان الطريق مفتوح للخلق والابداع •• ومن هنا يشعر الطالب بمسؤوليته ويدرك هدفه من الدراسة الجامعية ويبدأ فى البحث والتعلم المستمر وبذا يمكن ايجاد الانسان العالم المربي تربية كاملة • (١) بهذا التصور للتدريس وعلاقته بالبحث فى الجامعة نجد فى جامعات اليوم أن الوظيفتين مقبولتان بدون الفصل بينهما ••

الا ان مايجب الانتباه له هو الخطر الذى نبه اليه كل من نيومان وفيكسنر وهتشن من التضحية بطلاب الدراسات الدنيا بالنسبة للاول ، وتحول الجامعة الى مؤسسة تجارية تقدم خدماتها فى التدريب والبحوث التطبيقية حسب الطلب بالنسبة لفيكسنر وهتشن ••

---

(1) Carl Jaspers, The Idea of The University, - London : Peterowen, 1965) pp. 19 - 20

(٢) ماقبله ص ٦٢ ـ ٦٥ •

ان مادعا اليه فيكسنر وهتشن من وجوب عمل البحوث التطبيقية خـــــارج الجامعة ربما ليس ممكنا وربما ليس بأفضل الطرق لأن الجامعة بمعاملها واساتذتها هي اكفأ المؤسسات للقيام بهذا العمل ، ولكن الخطر الذي نبهوا اليه جدير بالاعتبـــار وأفضل طريق فى رأيي لمحاربة هذا الخطران تعمل الجـــامعة على ترسيخ فكـــرة استقلاليتها وانها وهي تنفذ تلك البحوث تفتح المجال للنقاش حولها وتفتح المجال للبحوث المعارضة لها حتى يكون هناك دائما تنبه اكبر لمخاطر انزلاق الجامعة الى الخدمة العمياء لمصلحة من المصالح واغفال وظيفـــــتها التربوية فى البحث عن الحقيقة وتوسيـــع حدود المعرفة ونشرها وحمايتها ٠

الجامعة والاعداد المهنى

قامت جامعات اوروبا الاولى عـــلى الاعداد المهنى كمسؤولية رئيسية لها خاصة فى الطب والحقوق والاكليروس ، ولا تـزال هذه المهن تحظى باحترام جامعات اليـــوم ويعتبر بروزها فيها ميزة للجامعة ٠٠ ولاشك ان بقاء هذه المهن كمسؤولية للجامعة وعدم التساؤل عنها كغيرها من المهن يوضح لنـا مدى قوة التقاليد فى تكوين افكار الناس واتجاهاتهم ٠٠ أما فى الجامعات الاسلامية الاولى فلم يكن الاعداد المهني بحد ذاتـه هدفا لها الا ان من درس على مشائخـــها وعلمائها ينخرط عادة فى مسعاهم العلمى والعملي فى القضاء والتدريس والتأليف ،وممارسة ماتعلمه ٠٠ ولاشك ان هذه الحالة نابعة من فلسفة اصيلة لاتريد للعلم ان يكون مرتبطا بمهنة يتقاضى عنها راتبا ثابتا ٠٠

وعندما نصل الى اواخر القرن التاســع عشر واوائل العشرين نجد ان تغيرا كبيرا قد حدث فى هذه الناحية وهو ان الجامعـــة يجب ان تكون ارقى من الاعداد المهنى الذى يجب ان يوكل الى مؤسسات على مستواه ٠ لقد كان هناك مايشبه الفصل الـــــتام بين « مسؤولية الجامعة التربوية » وبين الاعداد المهنى ٠٠ وكان الاتجاه بأن مســـؤولية الجامعة التربوية يجب ان تقوم على منهج « التربية الحرة » (Liberal Edu.) المختلف بطبيعته واهدافه عن مناهج الاعداد المهنى التى اعتبرت غير جديرة بأن تكـــون ضمن مسؤوليات الجامعة التربوية ولتوضيح مدى الفصل بين التربية الحرة والاعـــداد المهنى نسوق تعريف فاولر للتربية الحـــرة فى قاموسه الانجليزى الذى يقول : « هى التربية المصممة للرجال الاحرار وهى مختلفة عن التربية المهنية من ناحية وعن اى تربية أخـــرى تقصر عن الوصـــول الى عـالم الانسانية » ٠٠ (١)

هذا التعريف بعكس واقع الحال فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الى درجة كبيرة ٠٠ اما كيف صارت الحال الى هذا الوضع فيبدو أن هناك سببين ٠٠ الاول هو كثرة المهن وحاجة المجتمع الى التدريب والاعداد لها خاصة مع فجر الثورة الصناعية فى القرن السابع عشر مما جعـل الجامعات تتردد فى الأخذ بهذه المسؤولية ٠

(1) Algo D. Henderson, Policies and Practices in Higher Education, (New York : Harper & Row, Publishers, 1960.) P. 18.

وقدحدا ذلك بأصحاب تلك المهن والمحتاجين اليها الى تأسيس مراكز مهـــنية موازية للجامعات فكان ذلك أول تدعيم للفصل بين الجامعة والاعداد المهنى ·· والسبب الثانى هو النظرة الطبيعية المحتقرة للمهن والتىورثتها الانظمة التربوية من التراث الاغريقى الذى يفصل بين الرجال المثقفين والعاملين وينظر الى الناس باعتبار انهم طبقات بعضها مؤهل لتأدية عملى عقلى وبعضها مؤهـــل لتأدية عمل يدوى وان التربية يجب ان تكون مختلفة لكل منهم ··

وكان التعليل لتردد الجامعات فى البداية فى قبول مسؤولية الاعـــداد المهنى للمهن الجديدة هو أن هذه المهن ليس لها محتوى علمى يجعلها مستحقة لان تكون ضـــمن برامج الجامعات التى تغلب فيها الناحـــية العقلية والنظرية فى التعلم على التـدريب على مهرات معينة مما هو غالب فى بعض المهن · ولقد كان لهذا التعليل وجاهته بالنسبة لبعض المهن الجديدة التى لم تتطـــــور محتوياتها وحدودها وعلاقتها بوحدة المعرفة ككل ··

فالجامعة فى نظر المعارضين يجـــب أن لاتكون مهمـــتها مركزة على التدريب والاعداد الآتى للمهن بل تتعدى ذلك الى خلق الانسان السعيد العاقل القادر على الحـكيم والتمييز السليمين ·· هذا الهدف تحققـه الجامعة عن طريق مايسمي «بالتربية الحرة» المكونة مناهجها من دراسة اللغات والآداب والتاريخ والفلسفة مما يدخل تحت شعـبة الانسانيات والكلاسيك ·· أما الاعـــداد المهنى فلايسمو لتحقيق الاهداف المرغوبة ويقول احد الكتاب فى تدعيم هذا الرأى :

« ان التربية الحرة لا ويجب الا تعلم الرجال والنساء كيف يحسنون احـوالهم المعيشية ولكن كيف يحيون حياة أفضـــل ·· وهذا الهدف لايتحقق بتطوير قـــدرة الطالب المكانيكية والفنية والتنظــــيمية والادارية ولكن بتطوير قـــواه العقـــلية والجمالية والروحية » · (١)

وقد وجدت الفكرة تطبيـــقا لها فى الجامعة الحديثة حين نرى ترددها فى قبول مسئولية الاعداد المهنى تحت جنباتها ما ادى الى تأسيس كليات مهنية على مســـتوى الجامعات ولكن منفصلة عنها ·· ومن هذا النــــوع من الكليات وجـــدت الكليات التكنولوجية وكليات اعداد المعلمين وكليات التجارة مستقلة عن الجامعات من القـرن الثامن عشر حتى الآن ··

وهذه الكليات وان وجدت اليوم فليست تدل على الفصـــل بين الاعـــداد المهنى ومسؤولية الجامعة كما دلت فى الســـابق وانما يرجع وجودها فى هذا العصر الى الرغبة فى تخفيف مسؤولية الجامعة وصغر حجمــــها كما نـــرى ذلك فى الكلـيات التكنولوجية فى السويد وكليات العـــلوم والفنون التطبيقية فى كنـــدا وكلـيات البوليتكنيك فى بريطانيا ··

أما على المستوى العام فى العـالم الآن فان نظرة الفصل بين الاعـــداد المهنى

---

(1) Fred Benjamin Millett, The Rebirth of Liberal Education, (New Yourk : Harco urt, Brace & Company, 1945) p. 130.

ومسؤولية الجامعة قد خفت كثيرا ٠٠ وكان لتطور المهن وتطلبها جـــزءا من المهارات والمعارف لايستطيع توفيره الا الجامعـــة او مؤسسات موازية لها ولحاجة المجتـــمع الشديد اليها الفضل الاكبر فى دفـــع الجامعات أو مؤسسات موازية لها ولحاجة المجتمع الشديد اليها الفضل الاكبر فى دفع الجامعات الى احتضان مسئولية الاعـــداد المهنى فى المهن الحديثة كما كانت لجامعات القرون الوسطى مسئولية الاعداد المهنى فى الطب والقضاء مثلا ٠٠ ولاعطاء صـــورة تاريخية عن هذا الفصل وكيف بدأ بالزوال نذكر ان الكيمياء والفيزياء لم يدخـــلا فى الجامعات البريطانية الا فى القرن السابـع عشر ، وفى القرن العشرين بدأ التوســـع والاعتراف بأهمية الدراسات المهنية فى تـلك الجـــامعات حتى ان بعض الكـــليات التكنولوجية الموازية للجامعات اوجـــدت ضمن برامجها كراسى لادارة الفنـــادق والمطاعم والعقارات وهى من المهن التى لاشك فى معارضتها كمسؤولية للجامعة من قبـل المعارضين (١) ٠

ومما يؤكد ان الفصل بين الكلـيات المهنية والجامعة في طريقه للزوال مانشــره مكتب التربية الامريكى عن أن الكليات المهنية والكليات الليبرالية فى امريكا قد مـــررن بفترة عبور كل منهما الى الجانب الاخـــرففى عم ١٩٤٩ م قام المكتب المذكور بحصر للنوعين معلنا ان هناك ١٤٦ كلية لتدريب المدرسين و ١٩٨ كلية ليبرالية ، وفى عـام ١٩٥٨ تحولت تلك الارقـام الى ٩٣ و ٨٥ بالترتيب ٠٠ أما الباقى فقد اتجه فى توسيع برامجه باضافة برامج تربوية متخصصـــة وجزء كبير من التربية العامة لكليات المعلمين من ناحية ومزج برامج الكليات الليبرالية بالاعداد المهني استجابة لمتطلبات العصــر وربما كان ذلك على كره منها نظرا لمنافسة الجامعات المتعددة الاغراض والكليـــات الاهلية التى تخدم حاجات المجتمع مباشرة والمنتشرة فى امريكا بشكل واضح (٢) ٠

وهذا الاتجاه الحديث لشمول برامج الجامعة للاعداد المهنى كان له مؤيـــدوه والمدافعون عنه بحجة أن الثقافة ومواد التربية الحرة لاتوجد فى فراغ بمعزل عن حيـــاة الانسان ٠٠

فالثقافة والحضارة لاوجود لها بدون المهن اذ ان التاريخ الانسانى هو تاريخ تطور المهن لبنى الانسان وكيف يحيون فالمهن فى هذه الحالة تعتبر معبرا رئيسيا للواقـــع الحضارى للمجتمع ، والمهنة تؤثـــر على الذوق والشعور للفرد ثم المجتمع وبـــذا تكون الثقافة والحضارة ذات علاقة وطيدة متبادلة لايجوز الفصل بينهما وبين المهـن والفصل فى مؤسسات التعليم العـــالى بين التربية الحرة والدراسات المهنية عـلى هذا الاساس سيكون فصلا تعسفيا وخاطئـا وسيقود الى فراغ الدراسات الحرة وتفاهتها

وقد لخص احد الكتاب المعارضين لهذا الفصل حجته بقوله « اصل الثقافة هو المهنة وثمرة المهنة هى الثقافة وذلك بالنســـبة للمؤسسات الاجتماعية وللافراد » (٣)

---

(1) Sir James Mountford, British Universities, (London : Oxford University Press, Press, 1966) pp. 55 - 6.

(2) Henderson, الكتاب السابق ص ٣٢

3 -- Horace M .Kallen, The Eduction of Free Men - New York, farrar, Straus and Co., Inc., 1949) p. 307, as Gouted in Henderson's P. 20

ويقول كارل جاسبرز ان التعليم عندما يهتم بالمهن فيجب ان يربط ذلك بمحاولة للكشف عن مكان تلك المهن بالنسبة لوحدة المعرفة ٠٠ اما اذا فقدت الجامعة هذه الصفة (صفة البحث عن وحدة المعرفة) فانها لن تزيد عن كونها من المؤسسات المهنية الغير جديرة باسم الجامعة ٠ (١) ورأى جاسبرز هذا فى الايمان بان الاعداد المهنى يجب ان يدخل تحت مسؤولية الجامعة ولكن بشرط ان يرتبط هذا الاعداد بثقافة عامة تهدف الى توضيح مكان المهنة بالنسبة للعالم والمعرفة ، هذا الرأى يقرب مما اتفق عليه المربون فى بريطانيا حول ضم مهنة من المهن للجامعة او عدمه ٠٠ ففى بريطانيا كانت المعارضة شديدة للدراسات المهنية وكانت تلك المعارضات تحسم من خلال عرض تلك المهن على ثلاثة مقاييس هي :

١ ـ اى موضوع يدرس فى الجامعة يجب ان يكون ذا محتوى محدد له وزنه من المعرفة الاساسية ٠

٣ ـ يجب ان لا يكون معظمه مركبا المعرفة فيه موجودة ٠

٣ ـ يجب ان لا يكون معظمه مركبا من التدريب على المهارات والوسائل (٢) ويكاد هذا الرأى يجد تطبيقا له فى معظم جامعات العالم الآن ٠٠ مع الاعتراف بأن أى مهنة من المهن فى بدايتها لا تتوفر فيها الشروط المذكورة ٠ ولكن الذى يحدث ان الجامعات عندما تأخذ المبادرة بخصوص مهنة من المهن فان الاعتراف بها كمسؤولية للجامعة يبدأ يتشكل والشروط المشروطة للاعتراف بها تبدأ تتحقق واحدا تلو الاخر ٠٠ وهذا ماحصل مثلا تجاه مدرسة الدراسات العليا لادارة الاعمال فى هارفرد (٣) ٠٠ لقد عارضها الكثير من المربين مبدين رأيهم ان هذا نزول بمستوى الجامعة ولكن هؤلاء المعرضين يقبلون وجود كليات الطب والحقوق فى الجامعات مع ان بدايتهما كانت كبداية ادارة الاعمال ٠٠ انها التقاليد تحكم تصرفاتنا فى بعض الاحوال بدون ان نعلم ٠٠ او هل يطلب من الجامعة ان لاتقبل الاعداد لمهنة من المهن حتى تثبت هذه المهنة نفسها خارج الجامعة بأنها جديرة باهتمام الجامعة !! ٠٠

وحتى نستطيع ان نخرج بصورة واضحة ومختصرة عن الجامعة ومسؤوليتها فى الاعداد المهنى سيكون من المفيد ان نستعرض مهمة اعداد المعلمين وموقف الجامعة منها ٠٠ لقد كانت هذه الوظيفة تقع فى صلب مسئولية التعليم منذ بدايته وكانت تلك الجماعات الاولى التى نبعت منها فكرة الجامعة ـ وقد تحدثنا عنها سابقا ـ تعتبر الاجازة فى التدريس من أجل مسؤولياتها ٠٠ وعندما قامت الجامعات الاوروبية وعلى امتداد القرون الوسطى فى اوروبا كان الاعداد لمهنة التدريس يعد من واجبات الجامعة الاساسية ٠٠ وكان ذلك الاعداد قائما على الفهم بأن المدرس يجب ان يكون عالما وانسانا متكاملا قادر على التربية بمعناها الاعم ولذا كان ينظر الى مهنة التدريس باحترام وتقدير ٠٠ ولكن شدة الحاجة الى مدرسين للمدارس

---

١ ـ الكتاب السابق ص ٩٣ Carl Jaspers,

٢ ـ الكتاب السابق ص ٥٦ Sir James Mountford,

٣ ـ الكتاب السابق ص ١٦٣ ـ ٤ Abraham Flexner,

الثانوية والابتدائية باعداد وافرة ـ نظرا للتوسع فى التعليم ـ حولت الانظار الى اعداد مدرسين على وجه السرعة بصورة تؤكد الناحية التطبيقية وتعطى للمتدربين ما يسمى « بحيل المهنة » ٠٠ وقد ادى هذا الاتجاه فى القرن التاسع عشر الى احتقار مهنة التدريس ومن ثم عزوف الجامعات عن تدريب مدرسين من النوع الذى ذكرناه ٠٠ ولا عجب ان رأينا ولادة العديد من المؤسسات الجديدة للتعليم العالى والمختصة بتدريب المعلمين خارج الجامعة فى القرن التاسع عشر والعشرين فى كل من اوروبا وامريكا ٠٠ ومع تقدم العلوم التربوية والنفسية بدأت مهنة التدريس تفرض اهميتها على الجامعات مرة اخرى (١) ٠ وكانت المنافسة بين كليات المعلمين والكايات المهنية الاخرى وبين الجامعات سببا فى اعادة النظر من قبل الجامعات بمواضيع اعداد المعلمين والمهن الاخرى خوفا من اقفال السوق امامها وانتزاع الشهرة منها ٠٠ أما اليوم فنرى ان الكليات الخاصة باعداد المعلمين قد تحولت بنفسها الى جامعات او انها تابعة لجامعات مشهورة ٠٠ وماهذا التحول الا نتيجة لاكتشاف خطأ النظرة المحتقرة لمهنة التعليم والاعتراف بالحاجة القصوى الى مدرسين لايعرفون « حيل المهنة» فقط بل علماء عمليين واناسا مكتملي الاخلاق والثقافة لان مهنة التدريس ليست بالشيء اليسير بل هي مهنة التربية وتنشئة الاجيال ٠

هذا ماكان عليه الوضع بالنسبة للبلدان الغربية ٠٠ اما بالنسبة للدول النامية فعندما بدأت بتاسيس جامعاتها على الطراز الاوروبي والامريكي وجدت كليات اعداد المعلمين وعددا من الكليات المهنية الاخرى منفصلة عن الجامعات فنقلت تلك النظم نقلا دقيقا بدون اعتبار للظروف ٠٠ وكان من ذلك ان وقفت بعض الجامعات فى البلدان النامية موقفا سلبيا من الاعداد المهنى بما فى ذلك اعداد المعلمين متناسية ان الدافع الاول لانشاء الجامعات نفسها هو الرغبة فى خلق قوة عمل متعلمة ومهيئة للنهوض بالبلاد اقتصاديا واجتماعايا وسياسيا ٠٠ ومتناسية ان حاجة البلدان النامية هي اشد ماتكون للمعلمين خاصة في اوائل عهدها التعليمي ٠٠ ولكن الضغط الداخلي على الجامعات بأن تكون اكثر ايجابية تجاه المجتمع وبروز كليات الاعداد المهنى للمعلمين ولغيرهم واخذها نصيب الاسد من تشجيع الحكومات دفع الجامعات بأن تعيد نظرها ايضا فى مسألة الاعداد المهنى خوفا من ان تكون فى موقف المعتزل المعزول ٠

ودعنا نأخذ مثالا من المملكة العربية السعودية نفسها ٠٠ فجامعة الرياض اقدم جامعاتنا لم يكن ضمن اهدافها اعداد المعلمين ، وكذلك جامعة الملك عبدالعزيز وكلية البترول والمعادن ٠٠ لقد كانت وزارة المعارف المهتمة بشؤون التعليم الاول والثاني هي التى فكرت وأسست كليات التربية والشريعة لاعداد المعلمين ٠٠ ولكنها الجامعات مرة اخرى عادت وضمت تلك الكليات بالاتفاق بعدما توضح لها تقصيرها فى هذه الناحية من احتاياجات البلاد اما فى البداية فكان هناك نوع من الاتجاه السلبي من جانب الجامعات نحو اعداد المعلم ويتجلى هذا الاتجاه فى العبارات المستخفة نحو التدريس وان مهمة الجامعة هي خلق العالم وليس المدرس التى كنا نسمعها فى السابق ٠

---

١ ـ الكتاب السابق ١٧٩ ـ ٨ .Basil Flecher

ولاشك ان اتجاه جامعاتنا اليوم نحو اعداد المعلم واحلاله المقام الاول ضمن برامجهما ونشاطاتهما يدل على تغير النظرة وايمان جامعاتنا بدورها فى توفير حاجات المجتمع حسب الاهمية ولا اهم لنا اليوم فى نظرى من مهنة التدريس ٠٠ولكن هل ادت جامعاتنا دورها فى هذا المجال ؟ ٠٠ ان الجواب حرى بان يأتى من وزارة المعارف وهو فى نظرى بالنفى ولا ادل على ذلك من سعى وزارة المعارف لاقامة مراكز وبرامج خاصة لاعداد معلمي العلوم والرياضيات واللغة الانجليزية ومدرسى المدارس الابتدائية ٠

ان تقصير جامعاتنا فى هذا المجال لم يأت عن اتجاه سلبى نحو المشكلة كما كان فى السابق بقدر ماكان عن نقص فى الامكانيات وضعف فى التخطيط والتنسيق مع صاحب الحاجة ـ وزارة المعارف وغيرها من الجهات المشرفة على التعليم ـ ولعل تأسيس هذه المراكز والبرامج يكون بمثابة المنبه لجامعاتنا نحو مسؤولياتها هذه المرة كما كان لتأسيس كليات التربية فى السابق نفس التأثير ٠

بعد هذه الرحلة القصيرة من اعداد المعلمين نعود الى مسألة الاعداد المهنى ككل فالتقارب الذى رأيناه يأخذ مجراه بين الجامعات والاعداد المهنى اصبح هو ظاهرة اليوم فى معظم جامعات العالم ٠٠ وما ذلك الا لان الجامعات هى مرآة العصر الذى تعيش فيه وعصرنا هذا هو عصر المهن ومتطلباتها والاعداد لها ولا يمكن للجامعات ان تبقى بعيدة عنه ٠٠ ولكن هذا التقارب لايعنى عدم وجود معارضة معاصرة للاعداد المهنى فى الجامعات ٠٠ لقد أقض توسع الجامعات الامريكية خاصة فى هذا المجال مضجع عدد من المربين الذين جأروا بأصواتهم احتجاجا معلين خوفهم على هدف الجامعة فى التربية بمعناها العام ومن ان تتحول الى شركة منتجة للسلع المطلوبة ٠٠ ففى الثلاثينات من هذا الفرق نجد ابراهام فكيلسنز احد الاعلام فى تطوير كليات الطب الامريكية يقول ان قيام الجامعات الامريكية باستضافة كل وافد جديد عليها من المهن « المزعومة » بدون التأكد من جدارته باستضافة الجامعة له حرى بأن يقوله الجامعة الى ان تجد نفسها باذلة جهدها ومالها فى سبيل اشياء غير ذات نتائج ٠ (١) لم يكن فكيلسنر معارضا لكل انواع المهن بل كان خوفه من التوسع فى برامج تؤثر على مستوى الجامعة فى البحث والاعداد المهنى على المستويات العليا ٠٠ ولكنه كان محافظا فى قبول المهن الجديدة وموقفه من جامعة هارفارد وكولومبيا فى هذه الناحية مشهور جدا ٠٠ بالرغم من ذلك فقد سارت تلك الجامعات فى الطريق المعاكس لما يريده فليكسنر وأثبت تقدمها فى مجال البحوث والدراسات فى العلوم والفنون المختلفة ان مخاوف فليكسنر لم تكن فى محلها وانها كانت فى اغلب الظن تنطلق من روح محافظة تهوى القديم وترى فيه كل الخير وتخشى الجديد وترى فيه بشائر الشر ٠٠ ولا ادل على ذلك من انه رأى فى

١ ـ الكتاب السابق ص ١٣٢ ، ٣٣ ، ٢٥ Flexner,

الجامعات الالمانية المشهورة بمحافظتها من ناحية الاعداد المهنى المثل الاعلى لما يجب عليه ان تكون كل الجامعات ٠٠ لقد كان يرى ان جامعة كالجامعة الالمانية حرية بأن تكون معقل التقدم والبحث والتحرر وتخريج الانسان المثقف الذى يساهم فى توفير اسباب السعادة والرخاء لمجتمعه ولبنى الانسانية وذلك لانها لم تورط نفسها فيما تورطت فيه الجامعات الامريكية ٠ ولكن رؤياه هذه لم تصدق بدليل ان الجامعة الالمانية فى معظمها خضعت للسلطة النازية واصبحت تخدم اغراضها العنصرية والاستعمارية كما هو معروف تاريخيا ٠٠ ومن ناحية اخرى فانه لايجوز القول بان الجامعة الالمانية لو نحت منحى الجامعات الامريكية فى ارتباطها بحاجات العصر ستكون محصنة ضد الخضوع للنازية او لغيرها ٠٠ اذ ان مسألة قدرة الجامعة على الوقوف لتحقيق اهدافها التربوية فى « سعادة الانسان » لايمكن ان تحصل بجهود الجامعة وحدها وانما بتضافر الحكومة والشعب والمؤسسات الاجتماعية الاخرى ٠

وفى الستينات من هذا القرن لايزال يوجد عدد من المعارضين للدراسات المهنية لا على اساس المحافظة وانما على اساس الاعداد المهنى شىء آنى وان تغير العالم السريع يجعل من الاعداد شيئا قديما حال الانتهاء منه ٠٠ والمنطلق الثانى للمعارضة وهو الاساسى هو الدعوة لقصر وظيفة الجامعة على البحث والتربية لخلق الانسان المثقف ذى الاخلاق الحميدة ٠٠ ولايكتفى اصحاب هذا الرأى بما تقوم به بعض الجامعات بتخصيص جزء من المنهج للثقافة العامة والتربية والجزء الآخر للتخصص المهنى ، لان هذه ما هى الا عملية تعويض شكلية لايركز عليها الا بالقدر الذى تخدم فيه التخصص ٠٠ ولعل اشهر زعماء المعارضة المعاصرين هو روبرت هتشن الرئيس السابق لجامعة شيكاغو الذى سبق ان عرفنا بعض رأيه ٠٠ يقول هتشن ان اهتمام الجامعات بحاجات المجتمع شىء اساسى ولكن تفسير هذه الحاجات المسيطر على الجامعات اليوم يتغير من لحظة لاخرى وقد يعتمد التفسير على مانرى فى عناوين الصحف من رغبتنا فى التقليد الاعمى وفى تجاوز اعدائنا كما نقول يجب ان يكون لدينا مهندسون لان روسيا لديها الكثير منهم ويجب ان نجعل من طلابنا جواسيس لان روسيا تجعل منهم دعاة لمذهبها ٠ (١)

وعن التدريب نراه يحمل عليه ومعه فى ذلك حجته ٠٠ فالاعمال تحتاج من يدرب لها ولكن سرعة التغير تجعل التدريب عملية متكررة فى حياة الانسان وكثيرا مايكون التدريب على العمل هو الغالب بدلا من التدريب فى الجامعة ٠٠ بعد ذلك يشير الى الغموض الذى يكتنف طبيعة التدريب وهو انه فوق مجموعات المهارات والمعلومات التى يزود بها المتدرب يتساءل ضمنيا اذا كان التدريب فعلا مجديا بدليل مانراه من نجاح غير المتدربين فى بعض الاعمال الهامة وفشل بعض المدربين فى الاعمال التى اعدوا لها ٠ ويؤيد كلامه بما اورده احد الدارسين عن الصين القديمة حين وجد ان الضباط الذين تم اختيارهم على اساس التربية العامة فقط لم يخسروا معارك اكثر من اولئك الذين تم تخريجهم من الكليات العسكرية ٠٠ ويضيف هتشن قائلا ان قائد الصين الراحل

---

١ ـ المقالة السابقة ص ٥٠٦ ,Hutchins

ماوتسى تونج مثلا لم يتدرب على عمـــله الحالي وانما كان تدريبه الاصلى على اعمال المكتبات٠٠ثم يختم كلامه بقوله انه لاينكر اهمية التدريب ولكنه ينكر اهتمام الجامعة به ويقترح ان يتم خارج الجامعة (١)

اما الجامعة فى رأى هتشن فيجـب أن تهتم بالتربية الحرة التى تشكل الاساس لاى عمل يمكن ان يجد الانسان نفسه فيـــه او يميل اليه وهذه التربية يجب ان تكـون للجميع ٠٠ والتربية الحرة التى يقترحـــها تتكون من دراسة اللغات والرياضـــيات كأساس لانهما ضروريان للفهم ويستطيع كل انسان بل يجب على كل انسان ان يتعلمهما

هذه التربية الحرة كفيلة بأن تخرج اناسا مزودين بالقدرة على فهم النتاج الجديد والمشاكل الجديدة ولديهم الوسائل الكفيلة للفهم والاطار العام لهضم الظواهر الجديدة ٠٠ هذه هي التربية الحـــرة التى يرى هتشن ان تهتم بها الجامعة لانها اقـدر على البقاء من التـــدريب الانى القابـل للزوال (٢) ٠

وآراء هتشن هذه يجب الا نمر عليها مرور الكرام ففيها تنبيه للخطر المحـــدق بالجامعات والمجتمعات اذا غفلنا عن الهدف السامي الذى يجب ان تسعى اليه الجامعة فى سعادة الانسان٠٠ولكن السؤال هو هل يعنى هذا اهمال الاعداد المهنى؟ ٠٠ فى رأيى أنه يمكن الجمع بين الاعـــداد المهنى وبين التربية العامة فى سبيل هدف الجامعة ٠٠ او بكلمة اخرى ان الجـــامعة اذا اهتمت بالاعداد المهنى مغفلة النظر عن مكان هذه المهن بالنسبة للانسان ومغفلة عناصـــر التربية العامة فحرى بها ان تفشـــل فى رسالتها ٠٠ أما اذا قامت على الجمع بين الاثنين فستكون فعلا مواكبة للعصر الـذى تعيش فيه من ناحية وقادرة على الاستمرار واخراج رجال ونساء قادرين على التعلم المستمر وممارسة اى عمل يوكل اليهم مع بعد النظرة وشمولها ٠

ولكن الاهتمام بآراء هتشن وغيرها من الآراء المختلفة لايمكن ان يقارن بماهي عليه الحال فى بعض البلدان النامية من رفض الجامعات للاعاد المهنى رفضا قائما على التقليد والمحاكاة لما كان قائما فى الغـــرب وتجاوزه الغرب بأشواط بعـــيدة ٠٠ وما اعتراض جامعاتنا فى المملكة على قبـــول خريجى معاهد الاعاد المهنى المختلـــفة الا صورة اخرى من الرفض القائم على التقليد لاعلى الفهم والاقتناع ٠٠ أما لو كان قائما على الفهم فان مقياس الشهادة كمعـــيار للدخول يجب ان يتغير الى معيار نوعى بدلا من ذلك ٠٠

التربية العامة والتربية التخصصية فى الجامعة

فى الفصل السابق ناقشنا موضوع الاعداد المهنى فى الجامعة وخلصنا من ذلك

---

١ ـ ما قبله ص ٥٠٧

٢ ـ ما قبله ص ٥٠٩

الى ان هناك بعض التحفظات على تركيــز الجامعات عليه خوفا من ان تنقلب الجامعة الى مجرد مؤسسات مهنية مغفلة هدفــها الرئيسى وهو التربية العامة بمعناها الاسمى والقائمة على وحدة المعارف ومعرفة مكانها بالنسبة للكون ·· وفى هذا الفصــل سنستعرض تــاريخ التخصــصات فى الجامعات على اعتبار ان التخصصــات جانب من جوانب الاعداد المهنى ، وكيــف تحاول جامعات اليوم بعد ان رأت كثــرة التخصصات المفزعة التى تهدد بفقــدان وحدة المعرفة ، كيف تحاول الجامعــات القضاء على هذا الخطر بتــوفير مايسمى بجزء التربية العامة فى مناهج الجامعة لقد كان الافتراض هو ان التربية العــامة فى مناهج الجامعة ستكون اطارا يســاعد المتخصصين فى الدراسات المختلفة مهنيــة كانت او غيرها على ربط تخصصاتهم بوحدة المعرفة وتساعدهم على معرفة مكانها بالنسبة للتخصصات والمهن الاخرى وبالنســبة للمجتمع ككل ·

اما عن تاريخ التخصصات فلم يكــن ابن اليوم ·· لقد حاول عديد من العمــاء والمفكرين ابتداء من ارسطو ان يقســم انواع العلوم والدراسات المختلفة حســب معايير خاصة يرونها ··

ومن تاريخنا الفكرى نجد ان الفيلسوف الفارابى فى القرن الرابع الهجرى هو أول من ألف رسالة فى هذا الموضوع باللغــة العربية ·· وقد قسم انواع العلوم الى : علم اللسان وأجزائه ، علم المنطق وأجــزائه ، علوم التعليم وهى العدد والهندسة وعــلم المناظر وعلم النجوم وعلم الموسيقى والاثقال والحيل ، والعلم الطبيعى ، والعلم الالهي والعلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام · (١) وقد تبع الفارابى كثير من العلماء العــرب فى وضع تصنيفاتهم للعلوم ·· ومن هؤلاء العلماء ابن سيناء ومجموعة اخوان الصفاء وابن خلدون وغيرهم ··

ومن الطبيعى القول ان تصنيفــات مجموعة تختلف عن الاخري وذلك باختلاف اساس التقسيم ولاشك ان بينها تداخل كبير وانها تطورت من بعضها البعض حتى اننــا نجد فى العصر الحاضر ان علم الهندسة الذى اعتبره الفارابى جزءا مما سماه بعلوم التعليم ، نجد هذا العلم قد اصبح عنوانــا رئيسيا يدخل تحته العديد من الفروع التى يمكن التخصص فيها باستقلالية تامة ولاشك ان كثرة التقسيمات فى العصر الحاضــر وبعدنا عن المنشأ التاريخى لاصول هــذه العلوم يجعل من خطر سيطرة التخصصات خطرا حقيقيا لا وهميا ·· امــا بالنسبة للعلماء الرواد فقد لجأوا الى التقســيم كوسيلة من وسائل التعلم حتى يســهل التصنيف والفهم وكانت ممارساتهم بأنفسهم فى التعلم والتعليم بعيدة كل البعد عن هذه التقسيمات بل كانوا يستمدون من جميــع الفروع ويشكلون من مجموعة التحصيــل العلمي اطارا عاما تظهر فيه وحدة المعرفــة والارتباط الوثيق بين اجزائها · ·ولا ادل على مارساتهم من اننا نجد العالم منهم ليس متخصصا بفرع واحد فقط بل تقريبا بعامة انواع المعارف المتراكمة فى عصره ولكــن بدرجات متفاوتة حسب ميوله وقدراته ··فابن سيناء مثلا عــالم بالطب والموسيقى والفلسفة وعلم النفس كما اشتهر بــذلك ولكنه كان على اطلاع كاف على انــواع

(١) دكتور محمد اسعد طلس ، الكتاب السابق ص ١٧٥ ـ ٦ ·

الثقافة والمعرف الاخرى فى عصره الى درجة تجعله لاينظر الى الفروع التى برع فيها بمعزل عن غيرها بل يقدر مساهمتها وارتباطها بغيرها كما يقدر مساهمة غيرها وارتباطها بما يعرف ·· وهو كذلك يعرف ان هذه التقسيمات ماهى الا تصنيفات ضرورية لتسهيل التعلم والتبويب للدراسين وان هناك علاقات متبادلة بين جميع فروع المعارف وانها يجب ان ترتبط بأسس ومنطلق واحد كأن تنظر اليها من زاوية علاقتها بالانسان ، او بالكون ·

اما عن التخصصات فى الجامعات الحديثة فيرجع اصلها الى تراث جامعات القرون الوسطى ·· لقد كانت هناك ثلاث كليات رئيسية مهتمة بالمهن التقليدية التى اشتهرت تلك الجامعات بالقيام عليها ·· هذه الكليات هي الطب واللاهوت والتشريع ·· وقد اضيف اليها كلية رابعة هي كلية الآداب والعلوم ·· وكنت مهمة الكلية الرابعة هي التحضير للكليات الثلاث الاولى وذلك باعطاء الدارس مبادىء العلوم الطبيعية والانسانيات بما فى ذلك المنطق والفلسفة ·· ومع تطور العصر نرى أن هذه الكلية انقسمت الى كليتين فى العادة وهما كلية العلوم الطبيعية والرياضيات ، وكلية الاداب للانسانيات والعلوم الاجتماعية (١)

وفى كل كلية كانت هناك اقسام مختلفة لكل فرع من فروع المعارف مثل الكيمياء ، والفيزياء ، الاجتماع ، التاريخ وغيرها ·· وكانت الحاجة الى اعداد مهنيين واختصاصيين فى التدريس والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والزراعة من أكبر الاسباب التى دفعت الجامعات الى تأسيس كليات واقسام مختلفة لتفادى تضخم مسؤوليات الكلية الواحدة ·· كما ان الصراع بين التخصصات المختلفة وقلة الفهم والاحتقار المتبادل بين المختصين كان سببا آخر فى تعميق نفس الاتجاه ·

ومع تقدم الزمن وتشعبات التقسيم بدأ الخطر الذى نبه اليه بعض المربين فى البروز ·· هذا الخطر يتركز فى تخريج اختصاصين ومهنيين ضيقى النظرة متعصبى الاتجاه والميول كل منهم يعلن الحرب وينظر نظرة احتقار الى الآخرين ·· ومع بروز الخطر بدأ التفكير فى حل للمشكلة فكانت فكرة جزء التربية العامة فى المنهج بجانب جزء التربية التخصصية ·· وكان الافتراض هو ان التربية العامة ستحقق هدف مايسمى بالتربية الحرة التى سبق الكلام عليها فى الفصل السابق ·· ولذلك فتوفيرها بجانب الاختصاص سيكون عامل توازن بين التربية التخصصية الى اصبحت ضرورة فى هذا الزمن الذى تضخمت فيه العلوم والمعارف تضخما كيفيا وكيما ، وبين التربية الحرة التى تهدف لبناء الانسان المتكامل عقليا وخلقيا وروحيا لامجرد الاختصاصى المهنى المنعزل ·

وكانت الجامعات الامريكية هي الرائدة فى توفير مايسمى بالتربية العامة فى

---

(١) الكتاب السابق ، ص ٩٧ ــ ١٠١ Carl Jaspers.

الجامعة وكان بين عيني التربويين الامريكيين هدف آخر للتربية العامة بجانب الهدف الاول الذى هو اعطاء صفة الشمول والوحـــدة لجميع التخصصات ٠

والهدف الآخر الذى راعاه الامريكيون هو ان جميع الطلبة القادمين للجامعـــة ليسوا مؤهلين بدرجة متساوية لبدأ الدراسة التخصصية ٠ ٠وهذا يستوجب توفير خلفية عامة مبدئية لجميع الطلبة ينطلقون منـــها لدراسة التخصصات المختلفة حسب ماتتيح لهم قدراتهم وخبراتهم ٠

أما على الجانب الآخر في اوروبا فكان هناك افتراض كامن بين المربين ان الدراسة التخصصية يجب ان تبدأ فى الجـــــامعة مباشرة لان المدرسة الثانوية قامت بـــما يمكن ان تقوم به التربية العامة فى الجامعة ٠٠ كما ان خطر الدراسة التخصـصية فى الانعزال عن غيرها يمكن القضاء عليــــه بمزيد من الدراسة التخصصية الى حد عميق يوضح للدارس اخيرا وحدة جميع انــواع المعارف وما يمكن ان يساهم به تخصصــه بجانب التخصصات الاخرى ٠ (١)

ويبدو ان كثرة اعداد الطلاب الوافدين الى الجامعات واختلاف مستوياتهم وتبعـــا لذلك استحالة تعميق الدراسة التخصصية للجميع الى الحد الذى يسمح لهم باكتشاف وحدة المعارف ، هذه العوامل رجحت كفــة الرأى الامريكي وذلك واضح من ممارسات الجامعات البريطانية الحديثة فى توفير جزء من التربية العامة فى مناهجها ٠

فمثلا فى جامعة كيلى البريطانية يوجد سنة خاصة تسمى سنة التأسيس يدرس فيها الطالب مساهمة وتحصيل علماء غرب اوروبا من القرن الخامس عشر حتى العشرين ، ثم مساهمة الحضارات القديمة ويقوم بتدريس هذه الاجزاء مؤرخون وفلاسفة ورجـــــال لاهوت ولغويون ٠٠

بعد هذا يدرس الطالب القرن الحاضر من حيث خصوصياته والمشاكل التى تواجه المجتمع الصناعى التكنولوجى ٠٠ وفى نهاية السنة التأسيسية يدرس الطالب طبيعـــــة الانسان حيث يقوم بالتدريس فلاسفـــــة وعلماء نفس واجتماع لاهـــــوت وعلماء احياء ٠ (٢)

بعد هذه السنة التحضيرية لايزال امام الطالب ثلاث سنوات يقوم فيها بلختيـــــار تخصصين على الاقل او ثلاثة على الاكثـــر ليدرسها بجانب مواد تربوية علمة ولاتقتصر دراسته على مواد التخصص فقـــط الا فى السنة الاخيرة فقط (٣)

وشبيه بهذ االتنظيم مايوجد فى جامعة واروبك البريطانية حيث يدرس جميع الطلبة فى السنة الاولى برنامجا يسمي النـــــقد والاستكشاف لمدة سنة كاملة ويغطى هـــذا المنهج طريق البحث والاستكشاف المستخدمة فى العلوم الطبيعية والاجتماعية والنقـــــد الادبى والاخلاق وغيرها من المواد ٠ (٤) اما فى الجامعات البريطانية القديمة فتوفـــر

---

(١) الكتاب السابق ، ص ، ١٤٤ ٠ — Basil Fletcher,
(٢) ماقبله ، ص ١٤٣ ـ ٤ ٠
(٣) الكتاب السابق ، ص ٦٣ ـ ٤ ٠ — Sir James Mountford
(٤) ماقبله ، ص ٦٦

درجتين جامعيتين الاولى (مقبول) لـــها مناهجها الخاصة من حقول المعارف المختلفة وتركيزها على فرع التخصص غير كبير ٠٠ والدرجة الثانية هي درجـــة (الشرف) وتركز بدرجة كبيرة على التخصص فقط ٠٠ ولكن النتيجة انه فى اشهر الجامعـــات البريطانية كامبرج واكسفورد انقـــلب البرنامج كله الى درجة الشرف واصبحت درجة مقبول تعطى كتعويض لمن لم يحصل على درجة الشرف فقط ٠٠ والنتيجة لهذا التحول ان مناهج درجة مقبول التى تهدف الى تزويد الطالب بتربية عامة قد انتهت كلية ٠ (٤) ٠٠

وبالنسبة للممارسات الامريكية فى حقل التربية العامة فنجد ان هناك طريقتين ٠٠ الاولى طريقة الخطة التوزيعية فى المنهج التى تفرض بعض المواد على جميع الطلبة فى كل التخصصات ٠ ٠هذه المواد تمثل بعض اللغات ، والرياضيات ، والاداب مع اختلاف فى تعيين المواد المطلوبة حســـب فلسفة كل جامعة ٠

والافتراض الكامن وراء هذه الخطـــة هي ان لتلك المواد المقررة قيمة ذاتية ولذلك يجب ان يدرسها كل طالب حتى توفر لـــه الجزء الثقافي العام الذى يهدف الى تحقيق اهداف التربية الحرة ٠٠ وهذه الممارسة تحظى بتأييد المحافظين الذى يميلون الى التشكك فى دور الجامعة فى الاعداد المهنى ٠٠ ولا يفوتنا القول ان هذه الممارســـة ليست قصرا على امريكا فقط بل توجد فى الجامعات البريطانية ايضا ٠٠ وبالنسبة للبلدان النامية نجد هذه الممارسة متبعـــة فى معظم جامعاتها ٠

اما الطريقة الثانية فى امريكا فهى تشبه ماذكرنا عن ممارسات الجامعات البريطانية الحديثة والظاهر ان الاخيـــرة هى التى اقتبست من الاولى ٠ ٠هذه الطريقة الحديثة لاترى قيمة للمواد بحد ذاتها ، ولافتراض الكامن وراءها هو ان التربية العامـــة فى الجامعة لاتحقق بدراسة مواد منفصلة بـــل بربط العلوم والمعارف المختلفة باهتـــمامات المجتمع ومشكلاته المعاصرة ٠ ونجد مؤيديها غالبا ممن يؤمنون بأن تكون التربية وظيفية بالنسبة للحياة فى المجتمع المعاصر وهؤلاء بدون شك لايعارضون دور الجـــامعة فى الاعداد المهنى كما يفعل مقابلوهم ٠

وقد اكتسبت هذه الطريقة انصارا كثيرين ولا تزال كما رأينا من امثـــلة الجامعات البريطانية الحديثة ٠٠ وعن تأثير البلدان النامية يكفى ان نرى فى المملكة مثلا بعض المقررات الحديثة مثـــل الثقافـــة الاسلامية ، المجتمع العربي المعاصـــر ، والعلوم العامة التى بدأت جـــامعاتنا فى ادخالها ضمن برامجها لتوفير جزء التربيـــة العامة فيها ٠

قبل ختام هذا الفصل لابد من ايـــراد بعض الامثلة على الطريقة الحديثـــة لتنظيم التربية العامة فى امريكا ٠٠ ففى جامعة هارفارد التى ابدت اهتمامها بالتربية

---

(٤) ماقبله ، ص ٥٩ ـ ٦١ ٠

العامة لم يرض اساتذتها بالعموميات المنزوعة من كل فرع من فروع المعرفة على حدة والمجموعة فى مقرر جديد مثل العلوم العامة مثلا ·· لقد رأوا ان هذا النوع لن يكون وسيلة فعالة لتحقيق الاهداف التى تصبو اليها التربية العامة فى الجامعة ·· لذلك فقد لجأ الاساتذة كمجموعات كل فى تخصصه الى تصميم مقررات جديدة لا للطالب المتخصص ولكنها قادرة على تعميق نظرة دراسها بالنسبة للمادة المدروسة وكيف تطورت وعلاقتها مع غيرها ·· وقد اعتمدوا على دراسة الحالات فى مقرراتهم تلك · ودراسة الحالات هذه هي وسيلة جديدة طورتها هارفرد للتدريس فى الحقوق وادارة الاعمال وتكاد تجد تطبيقا لها فى تدريس أى موضوع آخر اذا بذل لذلك الجهد اللازم ·· فمثلا فى مقرر عن العلوم هناك عدد محدد من الحالات يدرس بدقة مع التعرض للجوانب التى اثرت على تلك الحالة ··

وميزة هذه الطريقة انها تساعد الطالب على فهم الطريقة العلمية فى البحث وعن الاثر التراكمي لجهود الانسان فى اكتشاف اسرار الكون · وهى توضح للطالب الاخطاء التى ارتكبت فى تفكير السابقين والاسباب الدافعة لتلك الاخطاء كما تساعد فى ربط مواضيع يظن فيها الانفصال كالاداب والتاريخ والاقتصاد والعلوم ، وتوفر فرصة للطالب للتفكير الناقد والثاقب · (١) ·

ومن الطرق التى اصبحت منتشرة فى امريكا واوروبا طريقة تنظيم الكليات والاقسام على اساس دراسات اقيمية مقسمة تقسيما منطقيا مثل الدراسات العربية ، الدراسات الافريقية وفى هذه الاقسام يدرس الطالب اقتصاد تلك المناطق ، وجغرافيتها وآدابها ودياناتها ولغتها وطبيعة مجتمعها وما اشبه ذلك ·· وميزة هذه الطريقة أنها وسيلة جيدة لربط طائفة العلوم الاجتماعية والانسانيات برباط وثيق هو علاقتها بالبشر الاحياء ·· فهى تعطى صفة الوحدة للمواد من ناحية وتوفر اهداف التربية العامة فى تخريج انسان متكامل الفهم لما ينظر اليه من ناحية اخرى ·

استقلال الجامعة

ينطلق تصور كل فرد منا عن الجامعة بأنها مؤسسة مستقلة تحكم نفسها بنفسها فى شؤونها الاكاديمية والتنظيمية ·· وفى هذا الفصل سنتعرض للاصل التاريخى لمفهوم استقلال الجامعة ثم نصل من ذلك الى تحديد معنى استقلال الجامعة المعاصرة

فعندما ننظر للامر تاريخيا نجد ان استقلال الجامعة هو الاصل ويتجلى ذلك من طبيعة الجمعيات القديمة العلمية والتعليمية التى تمارس سلطاتها بواسطة اساتذتها باستقلالية تامة وعلى هذا النحو سارت الجامعات الاسلامية بصفة عامة ·· وعندما انتشرت الجامعات فى اوروبا فى العصور الوسطى كانت سلطة الكنيسة

---

(١) الكتاب السابق ، ص ١٢٦ ـ ٧ · Algo Henderson,

فوق الجامعات ظاهرة بشكل واضح ، الامر الذى دفع حركة استقلال الجامعـات الى الامام كموضوع صراع بين الكنيسة واساتذة الجامعة ·· فقد قام الاساتذة ببناء منظمات لهم لحماية انفسهم من تعسف الكنيسـة وتحديد صلاحيتهم فى اتخاذ القـرارات الاكاديمية والادارية ·· وقد عملت تلـك التنظيمات بدرجة كبيرة على تحرير مدرسى الجامعات من عبودية الكنيسة وسيطرتـها المطلقة ·· وقد اشتدت هذه الحركة وقوى عودها حتى اصبحت ظاهرة الحكم الذاتي للجامعة بمعنى مشاركة جميع اساتذتـها بصورة او بأخرى فى اتخاذ قراراتها تميز الجامعة عن اى مؤسسة تعليمية اخرى ·

وكان صغر حجم الجامعات وتركيزها على البحث والتدريس والاعـداد المهنى للمهن التقليدية من اقوى الاسـباب التى ساعدت الجامعات على حماية استقلالها · فلم يكن هناك التزام مالى من اى جهة بدرجة تحتم على الجامعات التنازل عن سلطاتها ، اذ كانت ميزانية الجامعة تقابل بواسطـة الرسوم والهبات الفردية او الممنوحـة من قبل الجمعيات ·

ولكن النمو السريع فى حجم الجامعة وتعدد مسؤولياتها وارتفاع تكاليف البحث العلمي قد بدأ يبتعد بالجامعات رويدا رويدا عن الاعتماد على الموارد الخاصة ويدفعها الى الاستعانة بالاموال العامة من الدولـة وحكومة المنطقـة التى توجـد فيـها ·· وكضريبة تؤديها الجامعات اصبح للمواطنين والمسؤولين الحكومين دور فى حكم الجامعة يختلف من دولة الى اخرى بدرجة قوتـه وحدوده ·

ففى بريطانيا مثلا تتمتع الجامعـات باستقلالية فى قبول الطـلاب ، وبتعيين الاساتذة ، وتحديد المنهج ، ومنح الدرجات ·· ولكن هذا الاستقلال كحق يجرى منحـه للجامعات بمرسوم ملكي اى قرار برلمـاني ويحدد القرار او المرسوم مدى الاستقلالية المقصودة كما تحددها قوة البرلمان ضد اى قرار او ممارسة تقوم بها الجامعات بـدون موافقته · (١)

أما فى فرنسا فنلاحظ ان وزارة التربية تسيطر على تعيين الاساتذة ، وتحديد المنهج والميزانية بشكل كبير ·· ولا يختلف الوضع عن فرنسا بالنسبة لجامعات المانيا الغربية (١) · ·وبالنسبة للولايات المتحدة الامريكية فيلاحظ ان السيطرة الخارجية تكون بقدر المساهمة المالية ·· ففى الجامعات التى تدعمها حكومة الولايات المختلفة هنـاك مراقبة تامة للشؤون المالية وسلطة اقل فى التعيينات ·· أما فى الجامعات الخاصـة فالاستقلالية هي الظاهرة العامة اذا لم تتلق اى معونات من الحكومة او من مؤسسـات خاصة والا فان الملاحظ ان تلك المعونـات ترد بشروطها وعلى الجامعات تنفيذ تـلك الشروط او عدم قبول المعونات ·· وقد ساعد الجامعات الامريكية الخاصة على صيانـة استقلالها ان الدستور الامريكى لم يجعـل التربية مسؤولية الدولة الفيدرالية وقد عملت

---

(١) الكتاب السابق ، ص ١٤٨ · Sir James Mountford.

حكومات الولايات بهذا التقليد فيما يخص التعليم العالي ٠

اما الان فنرجع الى المنطلق الاساسي لحركة استقلال الجامعة ٠٠ لماذا اعتبر استقلال الجامعة مهما ومتفقا عليه من قبل غالبية المتعلمين ٠ يجب علينا بهذه المناسبة ان نذكر مقولة جاسبرزان الانسان فى سعى دائم للتوصل الى الحقيقة والجامعة هي المكان الوحيد القادر على توفير الفرصة لذلك ٠٠ فحرية البحث والنقاش والتعليم اشياء اساسية لتطوير القدرة على التفكير بين الطلبة ولتوسيع حدود المعرفة وتحقيق اهداف التربية بصورة عامة ٠٠

وقد رأينا أن نمو الجامعات قد اضطرها الى الاستعانة بالاموال العامة من ناحية ، او فى بعض الحالات كالبلدان النامية مثلا نجد الدولة هي التى اسست تلك الجامعات ومع هذا التغير لابد ان نرى ان مفهوم استقلال الجامعة اصبح غير مطلق ابدا ٠٠ بل لقد اصبح من الممكن ان يكون التدخل المباشر حتى فى الشئون الفنية للجامعة هو المسيطر ٠٠ ولكن هذا الخطر لم يتحقق الا فى حالات قليلة جدا كما حدث فى المانيا تحت هتلر ٠٠ وقد ساعد على منع الخطر ايمان المسؤولين فى الحكومات المختلفة ومعهم جمع غفير من المواطنين ان استقلالية الجامعة شىء مرغوب فيه اذا اردنا لها التقدم بنفسها واردنا منها ان تحترم الوطن بصورة اكبر واعمق ٠ ٠وكان للاساتذة فى الجامعات دورهم فى التنبه لخطر السيطرة المطلقة من قبل اى جماعة داخلية فى الجامعة منهم هم او من الطلبة او اى جماعة خارجية ٠

وخلاصة للموضوع فان مفهوم استقلال الجامعة يتنازعه تياران ، تيار الرغبة والايمان باستقلالية الجامعة حتى يتسنى لها المساهمة بحرية فى تقدم العلوم وتحقيق اهداف التربية العامة ، وتيار السيطرة من الجهات الممولة للجامعات ٠٠ واذا ارادت الجامعات ان تتمتع بأكبر قدر من الاستقلالية فلا بد لها من العودة كما يقترح بعض المربين الى تصغير حجمها ومسؤولياتها ٠وبما ان هذا امر غير ممكن لان جامعات اليوم ولدت نتيجة لحاجات مجتمع اليوم الذى يريدها كما هي تقوم بالبحث والتعليم والتربية والاعداد المهنى فى مختلف المجالات فلا بد من حل واقعى يكون بين الاستقلال المطلق والخضوع المطلق ٠٠ وهذا الحل الواقعى هو ماتعيشه جامعات اليوم ومسؤولية حمايته هي مسؤولية مشتركة بين الجامعات والهيئات الحاكمة ٠

وقبل ختام هذا الفصل لابد من الانتباه الى ان الجامعات في الدول النامية تتصف بقدر أقل من الاستقلالية كظاهرة عامة ٠٠ وذلك نتيجة لان الحكومات هي التى اسست تلك الجامعة لتحقيق اهداف معينة فى خدمة الاستقلال الوطني وسد احتياجات الوطن من القوى العاملة المثقفة ٠٠ وتبعا لذلك فان الجامعات فى هذه البلاد لابد ان تقوم بالدور الذى يتوقع منها فى احداث التغيير المطلوب وهذا ماهو حاصل فعلا ، ولذلك

---

(١) ماقبله ، ص ١٤٩ ٠

فان موضوع استقلال الجامعة والحريـــــة العلمية فى بعض البلدان النامية يتمتع بقدر صغير من الاهتمام فقط بين المـــربين فى الوقت الحاضر ٠٠ ولاشك ان تطــــور الجامعات فى المستقبل وقدرتها على مواجهة احتياجات البلاد الآنية سيقودها الى الاهتمام بالنـــــوعية فى البحث العلمي والتدريس ومراجعة الاهداف التربوية للجامعة بصورة شاملة ، وتبعا لذلك فمن المتوقع ان تبـــرز مستقبلا حركة استقلال الجامعة فى مقدمة اهتمامات المربين والمثقفين داخل الجامعـــة وخارجها فى تلك البلاد ٠

طـلاب الجامعة

بالرغم من شمولية هذا العنوان الا ان هذا الفصل نفسه لن يكون شاملا ٠٠ بـــل سيقتصر البحث فيه على جانب واحــــــد وهو ابراز وجهتى نظر متعارضتين مــــن حيث التوسع فى قبول الطلاب فى الجامعات

لايزال التعليم الجامعى حتى فى ارقى الدول تعليما بعيدا جدا عن شـــمول كل الطلبة الذين هم فى سن ذلك التعليم ٠٠ فوق ذلك فان النظرة الفلسفية الى التعـــليم الجامعى من حيث هو حق او ميزة للفرد لاتزال تستقطب اهتمام المربين وكل يـــوم تزداد صعوبة البحث فيها ٠

شيء واحد مؤكد وهو ان هنــــاك اختلافات كبيرة حتى بين الدول المتقدمة فى التعليم من ناحية تيسر التعـــليم الجـــامعى للمواطنين ٠٠ ففى امريكا مثلا نجـــد ان شخصا واحدا من بين كل ثلاثين يدخــــل نوعا من انواع التعليم الجامعى ٠٠ اما فى بريطانيا فنجد الفرق شاسعا حيث ان النسبة هي واحد فى كل مائتى نسمة (١) ٠٠ هذا الفرق فى الممارسات يعكس التفكير المسيطر فى كلا البلدين ٠٠ ففى بريطانيا لايـــــزال ينظر الى التعليم الجامعى على انه ميــــزة تيسر لبعض المواطنين القادرين عقليـــــا وماليا ٠٠ أما فى امريكا فالنظر الى التعليم الجامعى على انه حق للمواطن وان كانت بعيدة عن القبول المطلق الا ان انتشـــارها واسع ٠ ولذا تجد المطالبة فى امريكا تفتح باب القبول امام الاقليات والطبقات الفلاحية والعمالية بمجرد الحصول على الشـــهادة الثانوية ٠٠ وقد جرى ابعاد كثير من قيود القبول فى سبيل تيسيره للطلبة الـــــذين لاتساعدهم ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية على التنافس مع غيرهم ٠

ويقف البريطانيون ومن تأثر بموقفهم من الممارسة الامريكية موقف الناقد مشيرين ان الفاقد من الطلبة بعد الســـــنة الاولى الجامعية والذى يبلغ ٤٠٪ تقريبا يبين عدم عقلانية هذه الممارسة ٠ وهم يوضحون قائلين ان من الخير ان تخفض نسب القبول الى ٥٠٪ من مستواهـــــــا الحـــــالى ، وبـــذلك تتجـــنب الجـــــــــامعة

(١)
Adam Curle, "Universities in a changing World : Innovation and Stagnation" in the New University (Ed.) John Lawlor (London: Routledge & Kegan Paul, 1968.) P. 15.

هذه النسبة العالية من الفاقد وما تحمله معها من الاعباء المالية والجهود التي تذهب هباءا . ويرد الامريكيون ومؤيدوهم بأن خطأ الممارسة المتمثل فى النسبة العالية من الفاقد لايجب ان يكون سببا فى تخفيض نسب القبول ، بل يجب علاجه بتحسين مستوى التدريس والارشاد فى الجامعة ٠٠ ويشيرون الى ان الجامعات البريطانية التى تمتاز بقلة الفاقد تضحى بالكثير ممن لديهم احتمال النجاح فى التعليم العالى وذلك من خلال الامتحانات العامة التي توجه مستقبل الطالب الى الجامعة او بعيدا عنها وهو فى سن مبكرة لايعتبر الحكم اثناءها قاطع الصحة ٠٠ كما ان مستوى التدريس والعناية بالطالب فى الجامعات البريطانية هو السبب فى قلة الفاقد لاقلة المقبولين بحد ذاتها ٠٠ فمثلا تحتل بريطانيا المرتبة الاولى فى العالم من حيث قلة عدد الطلبة الى الاساتذة في الجامعة ، حيث انه فى عام ١٩٦٠ بلغت نسبة الطلبة الى الاساتذة ٨ : ١ بينما نجد النسب فى الدول الاخرى اكبر من ذلك بكثير ، فهى فى السويد وروسيا تساوى ١٢ : ١ ، وفى الولايات المتحدة ١٣ : ١ ، وفى هولندا ١٤ : ١ ، وفى فرنسا ٣٠ : ١ ، وفى المانيا الغربية ٣٥ : ١ (١) ٠٠

وبجانب نسبة الطلبة الى الاساتذة هناك عاملان يساعدان الجامعات البريطانية على قلة الفاقد ٠٠ هذان العاملان هما اولا نظام التعليم فى فصول صغيرة من عشرة او أقل مع مدرس واحد مما يساعد على التنبه لكل فرد على حدة وما عدته العبور ٠٠ يقابل هذا ما تمارسه بعض الجامعات فى أمريكا فى تكريس طلبة السنة الاولى على اهميتها فى مجموعات تزيد على الالف احيانا .

العامل الثاني الذى يساعد الجامعات البريطانية فى تقليل الفاقد هو نظام المنح الحكومية لرسوم الدراسة وتكاليف المعيشة مما يساعد الطالب على البقاء فى الجامعة حتى التخرج ٠٠ وميزة المنح الحكومية هذه لجميع الطلبة المحتاجين اليها حديثة نسبيا فى بريطانيا اذ يعود تطبيقها الى عام ١٩٤٥ حيث اصبح المبدأ العام فى بريطانيا انه لن يحرم اى طالب يقبل في الجامعة من الدراسة فيها لمجرد عجزه المالى . (١) ومما يجدر ذكره ان نظام المنح هذا لايمكن اعتباره خطوة فى سبيل تعميم التعليم الجامعى فى بريطانيا لان المنح اقتصرت على المقبولين فى الجامعة ، ومن المعروف ان الجامعات لاتقبل الا بامتحانات ودرجات معينة لايحصل عليها فى الغالب الا ابناء الطبقة الميسورة اقتصاديا واجتماعيا .

وخلاصة القول هنا ان الامريكيين ومؤيدوهم - فى توسيع القبول - يرون ان كل جامعة لو اخذت بالنظام البريطانى فى التدريس وفى المنح الحكومية مع توسعها

---

(١) W. Boyd Alexander, " England's Uew seven: An Amercan veiw" in New University (Ed.) John Lawler pp. 37 - 8.

(٢) Sir James Mountford الكتاب السابق ، ص ١٠١ .

فى القبول فى نفس الوقت فلن تكون هناك نسبة عالية من الفاقد ٠ ٠وقد تبين لنا شىء عن الممارسة الامريكية فى التدريس فى قصورها عن بريطانيا ٠٠ أما نظام المنح فى أمريكا فهو ليس لكل من قبل فى الجامعة كما فى بريطانيا ولكنه يقتصر فى الغالب على من يحصل على درجات معينة فى المدرسة الثانوية ٠ ٠وهنا يبدو تشابه غير واضح للوهلة الاولى بين النظامين الامريكي والبريطانى فى ان الاثنين لايؤمنان بتعميم التعليم الجامعى ولكن الاول يقبل ذلك لفظيا فى امكانية قبول خريجى الثانوية ثم لايوفر للمحتاجين اسباب النجاح مثل العناية والمساعدة المالية ٠٠ أما فى بريطانيا فالفكرة مرفوضة كمبدأ ولكن اسباب النجاح ميسرة لكل من قبل فى الجامعة بعد ذلك ٠

اما الآن فنعود الى الموضوع فى اطاره الواسع عالميا ٠٠ وكما سبق القول فان تعميم التعليم الجامعى لايزال بعيدا ولكن من الملاحظ ان هناك توسع مستمر فيه فى مختلف البلدان وقد جاء هذا التوسع نتيجة لاربعة عوامل هي :

١ ــ النمو السكانى ٠

٢ ــ النمو فى التعليم الثانوى ٠

٣ ــ النمو الاقتصادى ومتطلبات المهن الحديثة لتعليم جامعى ٠

٤ ــ فتح الباب للنساء فى المهن ومن ثم التعليم الجامعى نتيجة لحاجة الاقتصاد اليهن ٠

وبجانب هذا التوسع فان هناك اتجاها كامنا لدى بعض المربين فى ان زيادة اعداد القبول ستقود الى تدنى مستوى التعليم الجامعى ٠٠ ويبرز فى هذا الاتجاه عدد من المربين البريطانيين بصفة عامة ومن الامريكيين من ينادى بقصر التعليم الجامعى على « اهداف التربية الحرة » بعيدا عن الاعداد المهنى ٠٠ وعندما ننظر الى البلدان النامية نجد هناك انعكاسات لوجهات النظر الموجودة فى الغرب ٠٠ ونجد النظرة المحافظة فى اعداد القبول كانت لها القوة والغلبة قبل الاستقلال وبعده مباشرة ٠٠ وقد حصل ذلك بتأثير من الجامعة الغربية الاوروبية التى تعتبر المرشد الرئيسى لجامعات البلدان النامية فى اول الامر ففى الجامعات الاوروبية كبريطانيا مثلا تسيطر النظرة المحافظة من ناحية قبول الطلبة كما سبق ان رأينا ٠٠ ومن جانب آخر فان المستعمر الذى ساعد فى تأسيس الجامعات لم يكن راغبا فى توسيع التعليم الجامعى لما يحمله ذلك من خطر ضد وجوده ٠٠ ولذلك فقد كان هناك تشجيع للجامعات بأن تقلل اعداد القبول تحت ستار المحافظة على النوعية والمستوى الممتازين الذين يخفيان تحتهما اهداف المستعمر البغيضة ٠٠ هذا ولا يستبعد ان النظرة النخبوية للتعليم الجامعى القائمة على الانانية لدى بعض المسؤولين فى جامعات البلدان النامية كان لها اثر فى ممارسة تحديد عدد الطلبة فى الجامعة وكما كانت رغبة المستعمر تخفى تحت ادعاء حفظ المستوى والنوعية ، كذلك كانت النظرة النخبوية الانانية تخفى تحت نفس الشعار ٠

وكمثال من البلدان النامية نأخذ الهند فى هذا المجال ٠٠ فقد كانت الجامعات المؤسسة على النظام البريطاني تقبل عددا قليلا من الشباب لمساعدة الاستعمار البريطاني على ادارة البلاد ٠٠ وكان المستعمر ضد نشر التعليم الجامعى لما يحمل ذلك من زيادة معارضة الاستعمار ٠٠ وقد استمر هذا الاتجاه بعد الاستقلال بين بعض المسؤولين فى الجامعات الهندية غير واعين بأهداف الاستعمار فى حصر التعليم الجامعى وغير واعين ان حاجة بلادهم بعد الاستقلال هي غيرها قبل وان تلك الحاجات يجب ان تواجه من قبل الجامعات الهندية التى لابد من ان تتوسع فى قبول الطلبة وان تنوع فى برامجها وقد قامت الحكومة الهندية بتأسيس العديد من الجامعات فى العلوم والتكنولوجيا لمقابلة اهدافها الاقتصادية ، ووجهت تلك الجامعات لقبول اكبر عدد ممكن فى تلك الحقول ٠٠ الا ان الهند جابهت مشكلة فى هذا المجال وهي مشكلة الاتجاه السلبى بين الطلبة والاساتذة الجامعيين ضد العلوم والتكنولوجيا ٠٠ فالاساتذة يشعرون بأن الجامعة تعنى دراسة الفلسفة وليس الصناعة ، ودراسة التاريخ وليس اصول المجتمع المعاصر ، بينما يميل الطلاب الى المهن التقليدية الادارية لخريجى الجامعات ٠٠ وقد نتج عن ذلك عجز فى القوى البشرية فى مجالات العلوم والتكنولوجيا بينما يوجد فى اواخر الخمسينات حوالي ٢٥٪ فائضا من خريجى الآداب والعلوم الاجتماعية ٠ (١)

وهذه المشكلة تكرر نفسها فى عدد من البلدان النامية مثل مصر ودول امريكا الجنوبية حيث يسيطر الشعور بأن دراسة الطب والحقوق والفلسفة والسياسة هي الدراسة الجامعية الحقة ٠٠ وقد ادى هذا الاتجاه فى البلدان النامية التى لها تاريخ طويل فى التعليم الجامعى الى نفس الوضع فى الهند من حيث الفائض فى خريجى بعض الكليات والعجز فى مجال العلوم والتكنولوجيا ٠

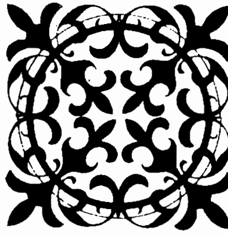
هذه الحالات الشاذة فى البلدان النامية استغلها المعارضون لزيادة الطلبة فى الجامعات مشيرين الى ان العدد الكبير من الخريجين الذين ليس لهم اعمال ماهم الا خسارة على الوطن وفى نفس الوقت فانهم يمثلون خطر عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى ٠٠ وبالرغم من ان ما اشاروا اليه صحيح الا انهم يغفلون عن ان السبب الحقيقى لعدم التوازن فى خريجى الجامعات ليس هو زيادة وعدد المقبولين بحد ذاتها ، وانما هو ضيق النظرة الى وظيفة الجامعة وعدم اخذ الاحتياطات اللازمة عند زيادة اعداد المقبولين لتسجيلهم فى الاقسام التى تحتاج البلاد الى خريجيها بصورة اكبر ٠٠ فلو اخذت الاحتياطات اللازمة فى توجيه الطلبة وصحب ذلك تغيير جذرى فى فلسفة اساتذة الجامعة المحافظين ، وصحبه ايضا تحسين فى مناهج العلوم والهندسة لتصبح دراستها امرا ميسورا للطلبة بدلا من جعلها شبحا مخيفا

(١) الكتاب السابق ، ص ٦٩ ٠ Algo Henderson

لو حصلت كل هذه الاشياء لامكن زيـــادة اعداد المقبولين مع تجنب عدم التوازن فى الخريجين واخطاره المحتملة ٠

وللتدليل على نجاح ممارسة زيـــادة اعداد القبول اذا اخذت الاحتياطات الكافية فى التوجيه ليس علينا الا ان ننظر ـ قبـل ختام هذا الفصل ـ الى بعض الارقـام ٠٠ فبينما يبلغ طلبة العلوم الاجتماعـــية والحقوق فى الفلبين مائة وثلاثة عشر الفـا فى عام ١٩٦٠ م ، نجد ان طلبة الزراعـــة والعلوم الطبيعية لايتجاوز ستة الاف لنفس العام ٠٠ وبينما نجد فى الهند ان أقـــل من ٥٪ من الطلبة مسجلون فى كليـــات الهندسة ، نجد نفس النسبة تبـــلغ ٣٠٪ لبولندا واكثر من ٥٠٪ فى روسيا فى العلوم والهندسة والزراعة ٠ (١) ومع ان كلا من هذه البلاد قد توسعت فى اعداد القبـــول فى الجامعة الا ان نجاح التجربة فى بولندا وروسيا فى توجيه الطلبة للكـــليات التى تحتاج البلاد الى خريجيها يثبت ان السبب فى مشاكل بعض البلدان النامية في التعليم الجامعى ليست كثرة المقبولين بل ســـوء التوجيه والسياسة التعليمية بالدرجة الاولى ٠

(١) الكتاب السبق ، ص ١١ ٠ Adam Curle



المراجـــع

(١) طلس ، محمد أسعد ، التربية والتعليم في الاسلام (بيروت : دار العلم للملايـــــن ١٩٥٧ م ٠)

(2) American University of Beirut, Addresses Presented at the 1969 Colloquium on Higher Education for University Administrator in the Middle East (A. U. B : Beirut, Lebanon, 1969.)

(3) Ashby, Eric, African Universities and Western Tradition (London : oxford university Press, 1964) .

(4) Connery, Robert h. -Ed.), the Corporation and the campus, (New York : Columbia University, 1970) .

(5) Coombs, Philip H., The world Educational Crisis, (New York : Oxford university Press, 1970) .

(6) Dialogue (a Journal Pulilished by U. S. Information Agency) Vol. 5, No. 3, 1972.

(7 Elam, Stanley and William McLure, Educational Requirements for the 1970's (New York : Prager, 1967 .)

(8) Fletcher, Basil, universities in The Modern world (oxford : Pergamon Press, 1968.)

-9) Flexner, Abraham, Universities (London : oxford university Press, 1968.)

(10) Foy, Rena (Ed.) , The world of Education (New York : The Macmillan company, 1968.)

(11) Grant, Nigel, Soviet Education, (Harmonds worth : Penguin Books Ltd., 1970.)

(12) Henderson, Algo D., Policies and Practices in Higher Education (New York : Harper & Row, Publishers, 1960.)

(13) Jaspers, Carl, The Idea of The university (London : Peter Owen, 1965.)

(14) Lawler, John (3d), The New university ity (London : Routledge & Kegan Paul, 1968.)

(15) Millett, F. B. the Rebirth of Liberal Education (New york : Harcout, Brace & Company, 1945 .)

(16) Mountford, Sir James. British universites (London : Oxford university Press, 1966.)

(17) Perkins, James A., Higher Education : From Autonomy To Systems (Voice of America, Forum Series, 1972)

(18) Perkins, James A., The universityin Transition (Princeton, N. J. : Princeton university Press, 1966.)

(19) Robbins, Lord, the university inModern World (New york : St. Martin's Press, 1966.)

(20) Schultz, Theodore, The EconomicValue of Education, (New york : columbia university Press, 1967.)

(21) Williams, Robert L., the Adminstration of Academic Afeairs in Higher Education (Ann Arbor : University of MichiganPress, 1966.)

